

# عصر النهضة الحديثة

(١) النثر

١ — الشيخ عبد الرحمن الجبرتي<sup>(١)</sup>

قال في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» عند الكلام على الحملة الفرنسية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

وهي أولُ سِنِي المَلاحِمِ<sup>(٢)</sup> العَظِيمَةِ ، وَالْحَوَادِثِ الجَسيمةِ<sup>(٣)</sup> ، وَالوَقَائِعِ النَّازِلَةِ ، وَالنَّوَازِلِ المِهائِلَةِ ، وَتَضَاعُفِ الشَّرورِ ، وَتَرادِفِ الأُمورِ<sup>(٤)</sup> ، وَتَوَالِي المِحَنِ ، وَاختِلَالَ الزَّمَنِ ، وَانعِكَاسِ المَطبُوعِ ، وَانقِلابِ المَوْضوعِ ، وَتَتَابُعِ الأَهْوَالِ ، وَاختِلَافِ الأَحْوَالِ ، وَفَسَادِ التَّدبيرِ ، وَحِصُولِ التَّدمِيرِ ، وَعُمُومِ الخِرابِ ، وَتَوَاتُرِ الأسبابِ : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » .

(١) هو مؤرخ مصري ، ولد بمصر وتعلم بالأزهر . ونسبته إلى جبرت وهي الزيلع في بلاد الحبشة . عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتباً في الديوان وكان مفتي الحنفية في عهد محمد علي باشا ؛ وأشهر مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه ، قيد فيه حوادث مصر سنة ١١٠٠ هـ إلى سنة ١٢٣٦ هـ . وقد مات سنة ١٢٤٠ هـ . بعد أن كف بصره من كثرة البكاء على ابن له قتل .

(٢) الملاحم : جمع ملاحمة ؛ وهي الحرب العظيمة .

(٣) الجسيمة : العظيمة

(٤) ترادف : تتابع .

في يوم الأحد العاشر من شهر محرّم الحرام من هذه السنة ، وردت مكاتباتٌ على يد الشعاعِ من ثغر الإسكندرية ، ومضمونها أن في يوم الخميس ثامنهِ حضرَ إلى الثغرِ عدّةُ مرّاكبٍ من مرّاكب الإنجليز ، ووقفت على البعد بحيثُ يراها أهلُ الثغر ، وبعدَ قليلٍ حضرَ خمسةَ عشرَ مرّكبًا أيضًا ، فانتظرَ أهلُ الثغرِ ما يريدون ، وإذا بقابقٍ صغيرٍ واصل من عندهم وفيه عشرةُ أنفارٍ فوصلوا البرَّ واجتمعوا بكبار البلد ، والرئيسُ إذ ذاك فيها والمشارُ إليه بالإبرام والنقض ، السيد محمد كريم الآتي ذكره ، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم ، فأخبروا أنهم إنكليز ، حضرُوا للتفتيش على الفرانسيس لأنهم خرجوا بعمارة<sup>(١)</sup> عظيمة ، يريدون جهةً من الجهات ، ولا ندرى أين قصدُهم ، فرمّما دهموكم ، فلا تقدرون على دفعهم ، ولا تتمكنوا<sup>(٢)</sup> من منعهم ، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول ؛ وظن أنها مكيدة ، وجأوبوهم بكلام خشن ؛ فقالت رُسُلُ الإنكليز : نحن نقفُ بمراكبتنا في البحر ، محافظين على الثغر ، لا نحتاجُ منكم إلا الإمدادَ بالماء والزادِ بشمَنِه ، فلم يجيبوهم لذلك ، وقالوا : هذه بلادُ السلطان ، وليس للفرانسيس ولا غيرهم عليها سبيل فذهبوا عنا ، فعندها عادت رُسُلُ الإنكليز ، وأقلعوا في البحر ، ليمتاروا<sup>(٣)</sup> من غير الإسكندرية ، وليقضِيَ اللهُ أمرًا كان مفعولًا ؛ ثم إن

(١) يريد أسطولا .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب : ولا تتمكنون .

(٣) ليجلبوا الميرة ؛ وهي الزاد .

أَهْلَ الشَّغْرِ أَرْسَلُوا إِلَى كَاشِفِ الْبُحَيْرَةِ لِيَجْمَعَ الْعُرْبَانَ ، وَيَأْتِي مَعَهُمْ لِلْمَحَافِظَةِ  
بِالشَّغْرِ ، فَإِنَّمَا قُرِئَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَاتُ بِمِصْرَ حَصَلَ بِهَا اللَّغَطُ الْكَثِيرُ مِنْ  
النَّاسِ ، وَتَحَدَّثُوا بِذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَكَثُرَتْ الْمَقَالَاتُ<sup>(١)</sup> وَالْأَرَاخِيفُ<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - من كتاب للشيخ حسن العطار<sup>(٣)</sup>

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَحْسَنَ وَشْيٍ<sup>(٤)</sup> رَقْمَتُهُ<sup>(٥)</sup> الْأَقْلَامِ ، وَأَبْهَى زَهْرٍ تَفَتَّحَتْ  
عَنْهُ الْأَكْثَامُ<sup>(٦)</sup> عَاطِرُ سَلَامٍ يَفُوحُ بِعَبِيرٍ<sup>(٧)</sup> الْمَحَبَّةِ نَفْحَةٌ<sup>(٨)</sup> وَيُشْرِقُ  
فِي سَمَاءِ الطُّرُوسِ<sup>(٩)</sup> صَبِيحُهُ .

سَلَامٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ أَوْ نَفْحَةِ الصَّبَا

أَوِ الرَّاحِ تَجَلَّى فِي يَدِ الرَّشَاءِ الْأَلْمَى<sup>(١٠)</sup>

( ١ ) المقالات : الأقوال .

( ٢ ) الأراخيف : الأقوال تقال على جهة التخييل والظن أو الكذب والادعاء .

( ٣ ) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أمم الممالك الإسلامية ،  
وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها ، ثم صار شيخا للأزهر الشريف وكان ، على علمه ؛ شاعرا  
كاتباً بليغاً ؛ توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

( ٤ ) الوشي : المحسن بالألوان . يريد به هنا : زخرفة الكلام .

( ٥ ) رقمته : خطته .

( ٦ ) الأكمام : جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم وهو غلاف الزهرة التي تنشق منه .

( ٧ ) العبير : أخلاط من الطيب .

( ٨ ) نفحة : رائحته .

( ٩ ) الطروس : الأوراق ، واحدها طرس بكسر الطاء .

( ١٠ ) الراح : الحر تجلى : بالبناء المجهول تكشف وتدار مشرقة . الرشأ : ولد الظبية

والألمى : المسود الشفة ؛ وهذه الصفة من مظاهر الحس عند العرب .

سَلَامٌ عَاطِرٌ الْأُرْدَانَ<sup>(١)</sup> ، تَحْمِلُهُ الصَّبَا سَارِيَةً عَلَى الرَّندِ<sup>(٢)</sup> وَالْبَانَ<sup>(٣)</sup> ، إِلَى  
مَقَامِ حَضْرَةِ الْمُخْلِصِ الْوَدَادِ ، الَّذِي هُوَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ ،  
صَاحِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، حِلْيَةِ الزَّمَانِ الَّذِي حَلَّى بِهَا مِعْصَمَهُ وَجِيدَهُ .

### ٣ - رفاة بك رافع الطهطاوى<sup>(٤)</sup>

من كلام له فى حُبِّ الوطن :

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ طَبَعِ الْأَحْرَارِ إِحْرَارُ الْحَنِينِ إِلَى  
الْأُوطَانِ . وَمَوْلِدُ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مَحْبُوبٌ ، وَمَنْشَوُهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ .  
وَلِأَرْضِكَ حُرْمَةٌ وَطَنِيهَا ، كَمَا لَوَالِدَتِكَ حَقٌّ لَبَنِيهَا . وَالكَرِيمُ لَا يَحْفُو  
أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ<sup>(٥)</sup> ، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُهُ . فَإِنِّي وَإِنْ أَلْبَسْتَنِي الْمَحْرُوسَةَ  
نِعْمًا ، وَرَفَعْتَ لِي بَيْنَ أَمْثَالِي عِلْمًا<sup>(٦)</sup> . وَكَانَتْ أُمَّ الْوَطَنِ الْعَامَّةُ ؛ وَوَلِيَّةُ  
الْآلَاءِ وَالْإِنْعَامِ ، وَأَحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النِّعْمَةِ . وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ  
مُجَاوِرًا « كِرَامَ السَّجَايَا وَالْبُحُورَ الطَّوَامِيَا » . فَلَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِي

(١) الأردن : جمع ردن بضم الراء ؛ وهو طرف الكرم .

(٢) الرند : نبات طيب الرائحة .

(٣) البان : شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب .

(٤) ولد بطهطا ؛ مدينة بمديرية جرجا ؛ ورنى بالأزهر وفرنسا ؛ وشغل مناصب تعليمية وسواها

وألف عدة كتب . وهو على الجملة من بناء النهضة الحديثة فى العلم والأدب . وتوفى سنة ١٢٩٠ هـ .

(٥) القوابل : جمع قابلة . وهى التى تتلقى الولد عند ولادته .

(٦) العلم بفتح الحين : الراية ؛ يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

الْخُصُوصِيَّ وَأَتَشَوَّفُ<sup>(١)</sup> ؛ وَأَتَطَّلَعُ إِلَى أَخْبَارِهِ السَّارَّةِ وَأَتَعَرَّفُ . وَلَا أُسَاوِي  
بِطَهْطَا الْخِصْبَةِ سِوَاهَا ، فِي الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَإِكْرَامِ مَثْوَاهَا .  
مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غَيْرَهَا مُقِيمَتٌ حَيًّا يَمُّ ، وَخُصَّتْ بِالتَّحِيَّاتِ<sup>(٢)</sup>  
وَأَمْنَحُهَا زَمَنًا بَعْدَ زَمَنِ الزِّيَارَةِ ، وَأَجِدُّ فِيهَا مِنْ هَيَاتِ الْحُكُومَةِ  
الْعِمَارَةِ ، وَأَبْذُلُ فِي مَحَبَّتِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الْأَرْضِ لِلزَّرْعِ وَالغَرَسِ ،  
وَأَفْتَخِرُ بِهَا كَمَا افْتَخَرَ عَصَامٌ بِالنَّفْسِ<sup>(٣)</sup> ، وَأُنشِدُ قَوْلَ الْحَافِظِ كَمَالَ الدِّينِ  
الْأَذْفُويِّ .

أَحِبُّ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ وَيَزْدَادُ وَجْدِي حِينَ تَبْدُو قِبَابُهَا  
وَتَذْكَرُهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَتِي فَتَجْرِي دُمُوعًا إِذْ يَزِيدُ التَّهَابُهَا

#### ٤ - لعبد الله باشا فكري<sup>(٤)</sup>

سَلَامٌ يُعْبَرُ عَنِ الْوِدَادِ طِيبِ عَيْبِرِهِ<sup>(٥)</sup> ، وَيُنْخَبِرُ عَنِ إِخْلَاصِ الْفَوَادِ لَطْفُ  
تَعْبِيرِهِ ، وَثَنَاءٌ عَلَى مَحَاسِنِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ<sup>(٦)</sup> ، أَرْقٌ مِنْ نَسَمَاتِ الشَّمَائِلِ<sup>(٧)</sup> ، وَتَحِيَّةٌ

(١) تشوف إلى الشيء : تطامح إليه في شغف .

(٢) الهيا : المطر . يدعو لها بالخصب والرخاء .

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما وعلته الكر والإقداما  
وصيرته ملكا هاما

(٤) انظر ترجمته في الشعر .

(٥) عيب الزهر : رائحته الطيبة .

(٦) الخلايا والسجايا .

(٧) جمع شمال : اسم ريح .

بهية تُباهى الخائل<sup>(١)</sup> ، بنفحات أوردتها<sup>(٢)</sup> ، وأدعية مرضية جعلتها الألسنة  
خير أوردتها<sup>(٣)</sup> ، وسؤال عن المزاج الزاهر ، وصحة خاطر الباهر ، لا زلتُم  
محلّ نعمة يتصل على مدى الأيام بقاؤها ، ويزيد على مرّ الشهور والأعوام  
بهاؤها ولا برحت تُغور الإقبال إليكم بواسم ، ورياح الآمال لديكم  
نواسم<sup>(٤)</sup> .

وبعد ، فإنّ بي من الأشواق ، ما تضعف عن حمله إلى حماكم الأوزاق ،  
ومن التأسف على ما حُرمتُه من لقياكم ، والتلهّف إلى مطالعة أنوار محياكم  
ما يقصر عن وصفه لسان البراعة<sup>(٥)</sup> ، ويُقتصر دون وصفه بيان البراعة ،  
ويضيف عنه نطاق العبارة ، ولا يفسح له ميدان الإشارة .

ومن كتاب له أيضا إلى بعض أصحابه :

كتبتُ والذهنُ فاتر<sup>(٦)</sup> ، من وهن الدفاتر ، والتبويض والتسويد والتقييد  
والتسديد ، والترجمة وكثرتها ؛ والهمة وفترتها ، والماهية<sup>(٧)</sup> وقيلتها ، والنفس  
وذلتها ، وراتبي لا يكفي أجرّة البيت ، ولا يفي ثمن الماء والزيت ، وبالأمس  
وعدّ الوكيل بالزيادة واعتذر اليوم بالأصيل<sup>(٨)</sup> على العادة ، على أنه لو حصلت

(١) الخائل : جمع خيلة وهي الشجر الكثير المتلف .

(٢) الأوراد : الورود .

(٣) الأوراد : ما يتلوه الناسك من الأذكار .

(٤) نسمت الريح : تحركت وهبت .

(٥) البراعة : القلم ؛ وهي في الأصل : القصة .

(٦) فطرة : الضعف ؛ فالذهن الفاتر : المتعب المكثود .

(٧) الماهية في اصطلاح المناطقة . حقيقة الشيء ؛ واستعملها العامة بمعنى الرتب .

(٨) الأصيل : يريد به الرئيس .

زِيَادَةٌ فَلَزِيْدٌ وَعَمْرُو ، إِلَى آخِرِ الزَّمْرِ ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ . أَحْوَالٌ مُتَبَدِّدَةٌ ، وَتَفْوِيسٌ  
مُتَبَلِّدَةٌ ، وَأَشْغَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، وَإِخْوَانٌ خُوَّانٌ<sup>(١)</sup> ، وَخِلَانٌ غِيْلَانٌ ، وَرِفَاقٌ ،  
وَمَا أَجْمَلَ الْفِرَاقُ ! وَقَلْتُ :

إِلَامٌ أَعَانِي الصَّبْرَ وَالدهْرُ غَادِرٌ      وَحَتَّى مَتَى أَشْكُو وَمَالِي عَادِرٌ  
لَوْ أَنِّي أَشْكُو عَظَائِمَ شِدَّتِي      لَمَيِّتٌ ، لَرَقَّتْ لِي الْعَظَامُ النَّوَاحِرُ

وَسَأَلْتُ عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، وَهَيَّانَ بْنِ بَيَّانٍ<sup>(٢)</sup> ، مِمَّنْ يَنْتَسِبُ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ،  
وَيَتَظَاهَرُ بِشِعَارِ فَضْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِلِجِيَّةٍ تَعَظُمُ وَتُطَوَّلُ ، وَشَوَارِبَ  
تُحَفُّ وَتُسْتَأْصَلُ ، وَعُيُونٍ عَلَى مَا بَهَا مِنْ غَمَصٍ وَرَمَصٍ تُكْحَلُ . . . فَهَمُّ  
أَعْلَمُ مَنْ أَقَلَّتَهُ الْغَبْرَاءُ ، وَأَفْقَهُ مَنْ أَظَلَّتَهُ الْخِضْرَاءُ<sup>(٣)</sup> ، وَإِنْ كَانَ لِلْعِلْمِ غَيْرُ هَذِهِ  
الْآلَاتِ فَمَا لَهُمْ سِوَى هَذِهِ الْحَالَاتِ . . . يَا قَوْمَ : أَهَذَا النَّحْوُ وَإِعْرَابُهُ ، وَالصَّرْفُ  
وَأَبْوَابُهُ وَالْعَرْمُوضُ وَأَوْزَانُهُ وَأَبْجُرْمُهُ ، وَالْمَعَانِي وَإِنْشَائُوهُ وَخَبْرُهُ ، وَالْبَيَانُ  
وَفَرَائِدُهُ وَالْبَدِيعُ وَشَوَاهِدُهُ وَهَذِهِ الْعُلُومُ الْمَوْضُوعَةُ ، وَالْأَسْفَارُ الْمَحْمُولَةُ ،  
وَالدَّرُوسُ الْمَأْهُولَةُ<sup>(٤)</sup> ، وَالْأَصْوَاتُ الْمَهْمُولَةُ ، لِجَرْدِ مَعْرِفَةِ ضَرْبِ زَيْدٍ لَعَمْرُو ،  
وَقِتَالِ خَالِدٍ لِبَكْرٍ . وَأَنْ قَالَ أَصْلُهَا قَوْلٌ ، ثُمَّ لَا يَدْرِي مَا حَصَلَ ، وَالطَّوِيلُ  
مِنْ فَعُولِنِ مَفَاعِيلِنِ ، ثُمَّ لَا يَعْلَمُ ، كَيْفَ يُنْظَمُ ، وَالْفَصْلُ وَالْوَصْلُ ، وَلَا أَصْلَ  
وَلَا فَصْلَ ، وَالْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ ، وَلَيْسَ لِهَذَا مَجَازٌ ، وَالتَّوْرِيَّةُ وَالْجِنَاسُ ، مِمَّا يُحْفَظُ

(١) خُوَّانٌ : جَمْعُ خَائِنٍ .

(٢) هَيَّانُ بْنُ بَيَّانٍ : اسْمٌ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ وَلَا يَعْرِفُ أَبُوهُ :

(٣) الْخِضْرَاءُ : الْمَمَاءُ .

(٤) الْعَاصَةُ بِالتَّلَامِيذِ .

وَلَا يُقَاسُ إِذَا وَاللَّهِ تَكُونُ تِلْكَ الْفُنُونُ ، مِنْ أَفَانِينَ<sup>(١)</sup> الْجُنُونُ ، وَيَكُونُ  
الْمِيلُ إِلَيْهَا ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهَا ، عَمَلًا حَابِطًا<sup>(٢)</sup> ، وَشُغْلًا سَاقِطًا ، وَهَوَسًا عَاطِلًا ،  
وَوَسْوَسًا بَاطِلًا ، وَيَكُونُ وَاضِعُوهَا أَسَاءُوهَا النَّاسُ ، وَأَخْطَاوهَا الْقِيَاسُ ، وَبَنَوْا  
عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ ، كَمَا إِنَّمَا وَضَعُوهُهَا هَذِهِ الْقَوَاعِدُ ، وَشَرَعُوهَا لِلنَّاسِ تِلْكَ الْمَوَارِدُ<sup>(٣)</sup> ،  
لِيَتَكَلَّمُوا بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِثْلَ مَا تَكَلَّمْتُمْ وَيَفْهَمُوا مِنْ أَلْفَاظِهَا كَالَّذِي فَهَمَّتُمْ  
وَيَتَرَجَّمُوا عَنْ سَرَائِرِ الضَّمَائِرِ كَمَا تَرَجَّمْتُمْ ، وَيَنْثُرُوا وَيَنْظِمُوا كَمَا نَثَرْتُمْ وَنَظَّمْتُمْ .  
وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْعَرَبُ الَّتِي أَوْدَعَ اللَّهُ الْفَصَاحَةَ لِسَانِهَا ، وَشَرَّفَ بِسَيِّدِنَا  
النَّبِيِّ وَالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ مَكَانَهَا ، تَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ اللُّغَةِ الْعَلِيَّةِ ، عَلَى الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ ،  
وَالسَّجِيَّةِ الْجِبِلِّيَّةِ ، مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالْأَصُولِ ، وَتِلْكَ الْأَبْوَابِ ، وَالْفُصُولِ ،  
وَكَانَتْ تَعْتَدُّ الْبَلَاغَةَ مَبْلَغَ عُلَاهَا ، وَتَعْتَقِدُ الْفَصَاحَةَ مِنْ مَحَاسِنِ حُلَاهَا ؛ إِلَى  
أَنْ خَالَفَ هَذَا الْخَلْفَ ، فَظَنُّوا تِلْكَ الْوَسَائِلَ مَقَاصِدَ ، لَيْسَ بَعْدَهَا غَايَةٌ لِقَاصِدِ ،  
وَحَسِبُوا هَذِهِ الْكُتُبَ تُقْصَدُ لِنَاتِهَا ، وَيُكْتَفَى بِالتَّعَبُّدِ بِكَلِمَاتِهَا ، فَوَقَفُوا  
عِنْدَهَا ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا ، لَمَّا بَعْدَهَا ، وَاتَّخَذُوا الْأَدَبَ وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا<sup>(٤)</sup> ، وَجَعَلُوا  
النَّظْمَ وَالنَّثْرَ شَيْئًا فَرِيًّا<sup>(٥)</sup> .

(١) أفانين : أنواع .

(٢) حابطا : باطلا .

(٣) الموارد : مواضع الماء يستقى منها . شرعوها . فتجوها .

(٤) أى نبذوه .

(٥) أى لئما .

## ٥ - السيد عبد الله النديم<sup>(١)</sup>

من رسالة طويلة ، تممّ فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آي الذكر الحكيم :  
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اشْتَبَهَ الْمُرَاقِبُ<sup>(٢)</sup> بِاللَّاهِ<sup>(٣)</sup> ، وَاسْتَبَدَلَ الْحَلْوُ بِالْمُرِّ ،  
وَقَدَّمَ الرَّقِيقُ عَلَى الْحُرِّ ، وَبِيعَ الذُّرُّ بِالْحَزَفِ<sup>(٤)</sup> وَالْحَزْفُ<sup>(٥)</sup> بِالْحَشْفِ<sup>(٦)</sup> ، وَأَظْهَرَ  
كُلُّ لَيْمٍ كِبْرَهُ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ : سَمِعًا سَمِعًا ، فَالْوَشَاةُ إِنْ سَعَوْا لَا يَمْقُلُوا ،  
وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحَمِّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَكَيْفَ تَشْتَرُونَ مِنْهُمْ الْقَارَ<sup>(٧)</sup> فِي صِفَةِ  
العنبر ، وَقَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، وَكَيْفَ  
تَسْمَعُ الْأَحْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَرَ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ<sup>(٨)</sup>  
عَجِبْتُ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا مَعْرُضُونَ . فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا  
يَرَوْنَ كَضُونَ<sup>(٩)</sup> . وَأَنْتَ يَا عَزِيزَ الْعَالِيَا ، وَوَحِيدَ الدُّنْيَا ، قَدْ بَيَّنَّتُ لَكَ فِعْلَهُمْ ،

(١) انظر ترجمته في الشعر .

(٢) يريد بالمرقب : من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه .

(٣) اللاه : اللاهي ؛ وهذا جناس .

(٤) الحزف : القنار .

(٥) الحز بفتح الحاء : الحرير يخالط بالصوف .

(٦) الحشف : الردىء من الصوف .

(٧) القار : الزفت .

(٨) ازدجره كزجره : منعه ونهاه .

(٩) البأس . القوة . وركض : جرى وعدا .

فَبِمَا رَحْمَةٍ (١) مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ . وَلَكِنْهُمْ صَمِعُوا فِي عَمِيمٍ طَوْلِكَ (٢) ، وَلَوْ كُنْتَ  
فَطَاطًا (٣) غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ . أَتَرَاهُمْ يَعْقِلُونَ كَلَامَكَ أَمْ يَفْهَمُونَ ؟  
لَعَمْرُكَ (٤) إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٥) . لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَدْرُونَ بِهَا لِلْحَسَدِ  
قَرَارًا ، لَوْ أُطْلِعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا . كَيْفَ يَسْعَى الْعَاذِلُ بَيْنَ التَّدِيمِ  
وَالْفِيهِ ، وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ (٦) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ . فَيَأْسَادَتِي : دَعُونِي  
مِنَ الْمُعْجَبِ وَالْمُطْرَبِ ، لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ . وَاجْعَلُوا سَيْفَ ثِبَاتِكُمْ لِلْعُدَالِ مَسْلُولا ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ  
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا .

### ٦ - السيد جمال الدين الأفغانى (٧)

كتب إلى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمّه أمام  
الخدوي على مسمع من فكرى باشا فسكت ولم يدافع عنه (٨) :  
مولاي إِنْ نَسَبْتُكَ إِلَى هَوَادَةٍ فِي الْحَقِّ وَأَنْتَ - تَقَدَّسَتْ جِبِلَّتُكَ (٩) -  
فُطِرْتَ عَلَيْهِ وَتَخَوَّضُ الْعَمْرَاتِ إِلَيْهِ : فَقَدْ بَعْتَ يَقِينِي بِالشِّكِّ ؛ وَإِنْ تَوَهَّمْتُ فَيْكَ

(١) فيما رحمة : فبرحة ؛ وما للتوكيد .

(٢) طووك بفتح الطاء : لإحسانك .

(٣) الفظ : الجافي النفس السيء الخلق .

(٤) لعمرك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء : وحياتك .

(٥) يعمهون : يتحيرون .

(٦) النذر بضمهين : جمع نذير بمعنى الإنذار .

(٧) هو محمد بن صفر ولد في أسعد أباد وتنقل في بلاد الهند وأفغانستان ، ثم رحل إلى الآستانة ؛ ثم  
نق منها لجاء مصر ونفخ فيها من روحه ؛ وأسس نهضة إصلاحية في الدين والسياسة وتعلم له فيها الشيخ  
محمد عبده وغيره ، نفي من مصر ؛ ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة « العروة الوثقى »  
ثم دعى إلى الآستانة وبهامات سنة ١٣١٥ هـ .

(٨) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكرى باشا دافع عنه في ذلك المقام أبلغ دفاع .

(٩) أى طهر أصلك وطبعك .

حَيْدَانًا<sup>(١)</sup> عَنِ الرَّشْدِ ، وَجَوْرًا عَنِ الْقَصْدِ ، وَأَنَا مُوقِنٌ أَنَّكَ لَأَزَلْتَ عَلَى السَّدَادِ  
غَيْرَ مُفْرَطٍ وَلَا مُفْرَطٍ<sup>(٢)</sup> فَقَدْ اسْتَبَدَلْتُ عِلْمِي بِالْجَهْلِ - وَلَوْ قُلْتُ : إِنَّكَ مِنَ  
الَّذِينَ تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَأُمِّ ، وَتَصُدُّهُمْ عَنِ الصِّدْقِ خَشْيَةً ظَالِمٍ ، وَأَنْتَ  
تَصَدِّعُ بِهِ<sup>(٣)</sup> غَيْرَ وَإِنْ وَلَا ضَجْرٍ ، وَلَوْ أَلَبَّ<sup>(٤)</sup> الْبَاطِلُ الْكَوَارِثَ الْمُرْدِيَةَ ،  
وَأَجْرِي عَلَيْكَ الْخُطُوبَ الْمُتَوَبِّقَةَ ، لَكَذَبْتُ نَفْسِي وَكَذَّبَنِي مَنْ يَسْمَعُ مَقَاتِي  
لَأَنَّ الْعَالِمَ وَالْجَاهِلَ وَالْفَطِينَ وَالْغَيْبِيَّ كَلَّمَهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى طَهَارَةِ سَجِيَّتِكَ .  
وَتَقَاوَةَ سَرِيرَتِكَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفَضَائِلَ حَيْثُ أَنْتَ ، وَالْحَقُّ مَعَكَ أَيْنَمَا  
كُنْتَ ، لَا تَفَارِقُ الْمَكَارِمَ وَلَوْ اضْطُرَّرْتَ وَأَنْتَ مُجْبُولٌ عَلَى الْخَيْرِ لَا يُحُومُ  
حَوْلَكَ شَرٌّ أَبَدًا ، وَلَا تَصْدُرُ عَنْكَ نَقِيصَةٌ قَصْدًا ، وَلَا تَهِنُ<sup>(٥)</sup> فِي قَضَاءِ حَقٍّ ،  
وَلَا تَنِي عَنِ شَهَادَةِ صِدْقٍ - وَمَعَ هَذَا وَهَذَا وَذَلِكَ إِنَّكَ مَعَ عِلْمِكَ بِوَاقِعِ  
أَمْرِي ، وَعِرْفَانِكَ بِسَرِيرَتِي وَسَرِّي ، أَرَاكَ مَا ذُذْتَ عَنْ حَقِّكَ كَانَ وَاجِبًا  
عَلَيْكَ حِمَايَتُهُ ، وَلَا صُنْتَ عَهْدًا كَانَتْ عَلَيْكَ رِعَايَتُهُ ، وَكَتَمْتَ الشَّهَادَةَ وَأَنْتَ  
تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَضْمَرْتُ لِلْخَدِيوِ وَلَا لِلْمُضْرِبِينَ شَرًّا ، وَلَا أَسْرَرْتُ لِأَحَدٍ فِي خَفِيَّاتِ  
ضَمِيرِي ضَرًّا ، وَتَرَكَتَنِي وَأَنْيَابَ النَّذْلِ اللَّئِيمِ ( فُلَانٍ ) حَتَّى نَهَشَنِي نَهْشَ  
السَّمْعِ الْهَرَمِ الْعِظَامِ ، ضَعِيفَةً مِنْهُ عَلَى السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَائِيَّ وَإِعْرَاءَ مِنْ أَعْدَائِي  
أَحْزَابِ ( فُلَانٍ ) ، مَا هَكَذَا الظَّنُّ بِكَ ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ رُشْدِكَ وَسَدَادِكَ

(١) الحيدان : الميل .

(٢) الإفراط في الشيء : المغالاة في الأخذ فيه . والتفريط : إهماله كل الإهمال .

(٣) تصدع به : تجهر به .

(٤) ألب : جمع .

(٥) تهن : تضعف .

وَلَا يُطَاوِعُنِي لِسَانِي - وَإِنْ كَانَ قَلْبِي مُدْعِنًا بِعُظْمِ مَنْزِلَتِكَ فِي الْفَضَائِلِ ،  
مُقَرَّرًا بِشَرَفِ مَقَامِكَ فِي الْكَمَالَاتِ - أَنْ أَقُولَ : عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ إِلَّا أَنْ ،  
تَصْدَعِ بِالْحَقِّ ، وَتَقِيمِ الصِّدْقَ ، وَتُظْهِرِ الشَّهَادَةَ إِزَاحَةً لِلشُّبُهَةِ ، وَإِدْحَاضًا  
لِلْبَاطِلِ ، وَإِخْزَاءً لِلشَّرِّ وَأَهْلِهِ ، وَأَظْنُكَ قَدْ فَعَلْتَ أَدَاءَ لَفَرِيضَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ،  
ثُمَّ إِنِّي يَا مَوْلَايَ أَذْهَبُ الْآنَ إِلَى لَنْدُنَ وَمِنْهَا إِلَى بَارِيْسَ مُسَلِّمًا عَلَيْكُمْ ،  
وَدَاعِيًا لَكُمْ - وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى الْفَاضِلِ الْبَارِئِ آمِينَ بِكَ  
جمال الدين الأفغانى ٨ صفر سنة ١٣٠٠

## ٧ - لأديب إسحاق<sup>(١)</sup>

أوروبا والشرق

كتب تحت هذا العنوان :

قَضَى عَلَى الشَّرِّقِ أَنْ يَهْبِطَ بَعْدَ الْارْتِفَاعِ ، وَيَذَلَّ بَعْدَ الْأَمْتِنَاعِ<sup>(٢)</sup>  
وَيَكُونُ هَدْفًا<sup>(٣)</sup> لِسِهَامِ الْمَطَامِعِ وَالْمَطَالِبِ ، تَعَبَتْ بِهِ أَيْدِي الْأَجَانِبِ  
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُعِيرُهُ عَلَيْهِ بِحُجَّةِ الْغَيْبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَتَدَاخَلُ فِيهِ بِدَعْوَى إِقَامَةِ الْمَدَنِيَّةِ . وَلَمْ نَرِ مِنْهُمْ مَنْ صَدَقَ فِي دَعْوَاهُ ،  
بَلْ كُلُّهُمْ تَابِعٌ فِي ذَلِكَ قَصْدُهُ وَهَوَاهُ .

(١) ولد بدمشق وتعلم في مدارس المرسلين العربية والفرنسية ، وأجاد الأدب العربي واشتغل بالسياسة  
والصحافة وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغانى . وتوفي سنة ١٨٨٥ م . ويمتاز أسلوبه  
بالإرسال المزوج بالسجع مع السهولة .

(٢) الامتناع : الرفعة والتمنع على صروف الزمن أن تنال منه شيئاً .

(٣) الهدف : بفتحين مرمى السهام .

٨ - نجيب الحدّاد<sup>(١)</sup>

كتب في إرضاء الناس :

« عبارة لَوْ وُضِعَتْ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ لَكَانَتْ أَخْتِ الْمُسْتَحِيلِ فِي الْمَعْنَى ،  
وَمُرَادُ النَّجْمِ فِي الْبُعْدِ ، وَشِبْهُ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ<sup>(٢)</sup> فِي النُّذْرَةِ وَالْقَلَّةِ . وَإِنْ  
شُدَّتْ فَقُلْ : إِرْضَاءُ النَّاسِ كَلِمَةٌ تَقَالُ ، وَلَا تُخَالُ ، حَتَّى يُصَاغَ مِنْ الْخَلَاتِمِ  
خَلْخَالٌ . وَمَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُرْضِيَ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِهِ ، كَيْفَ  
يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُرْضِيَ الْجَمِيعَ ؟ ... » .

ومن كلامه الجاري مجرى الحكم :

مَنْ جَارَ عَلَى صِبَاهِ ، جَارَتْ عَلَيْهِ شَيْخُوخَتُهُ .

مَهْمَا اجْتَهَدَتِ الْمَرْأَةُ فِي أَنْ تُثَقِّلَ الرَّجُلَ ، فَجُلُّ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا  
لَا تَصِيرُ رَجُلًا ، وَلَا تَعُودُ أُمْرًا !

مَنْ غَرِيبَ طَبَائِعِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يُحِبُّ الْعَدَالََةَ مَظْلُومًا ، وَيَسْكُرُهَا  
ظَالِمًا ، وَيَطْلُبُ الْحُرِّيَّةَ مَرءُوسًا ، وَيُنْكُرُهَا رَئِيسًا !

(١) كاتب رقيق ، وشاعر مجيد ، اشتغل بالتحضير في الصحف ، وترجمة الروايات ، وأسلوبه رصين ،  
والفاظه مختارة .

(٢) الكبريت الأحمر : يضرب به المثل في القلة والندرة .

## ٩ - مصطفى بك نجيب<sup>(١)</sup>

كتب يصف نظارة ويشكر من أهداها :

وَرَدَ الْكِتَابُ الْمَطْرَزُ بِحُلَى الْكَرَمِ ، الْمُحَلَّى بِجَمِيلِ النَّعْمِ ، وَاسْتَلَمْتُ<sup>(٢)</sup>  
الْهَدِيَّةَ ، فَسَلَمْتُ يَدُ أَهْدَتْهَا ، وَحَفِظْتُ السَّجَايَا الَّتِي لِمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ  
هَدَتْهَا ، وَدَامَتْ رَحَابٌ لِمِثْلِ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ فِيهَا مَجَالٌ ، وَلِلْمُحْسِنَاتِ بِهَا  
وَجَمَالٌ ، وَاللَّامِلِ مَحْطٌ رَحَالٌ ؛ وَلِلْمَقَاصِدِ كَعَبَةِ إِقْبَالِ ، وَطَابَتْ نَفْسُ تَعَالَى اللَّهِ  
أَنْ تُثَاثِلَهَا نَفْسُ عَصَامِ<sup>(٣)</sup> ، فَإِنَّهَا نَسَخَتْ آيَةَ الْكُرِّ وَالْإِقْدَامِ ، بِآيَةِ الْجُودِ  
وَالْإِكْرَامِ ، وَفَعَلَتْ فِي الْقُلُوبِ بِالْعَطَاءِ وَالتَّوَالِ ، مَا قَصَّرَتْ عَنْهُ الرِّمَاحُ  
الطَّوَالِ ، وَتَأَمَّلْتُهَا فَأَرْتَنِي مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَأُظْهِرَتْ مِنْ مَحَاسِنِ الْمَنَاطِرِ  
مَا أَضْمَرَتْ ، وَقَرَّبَتْ كُلَّ مَنْظُورٍ بَعِيدٍ ، وَتَلَّتْ ( فَكَشَفْنَا عَنْكَ  
غَطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ )<sup>(٤)</sup> ، وَصَفَا وَقْتِي بِصَفَائِهَا ، فَلَمْ أَشْتَهْ شَيْئًا  
إِلَّا جَمَعْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنِي ، وَصَحَّ عَلَيْنَا قَوْلُ الْقَائِلِ : ( رَأَيْتُ بِعَيْنِهَا وَرَأَتْ

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب . شاعر كاتب ، يمتاز بسهولة الأسلوب ، ورشاقة العبارة ، وإيراد أروع النكات في شعره ونثره . وقد نشأ في معية الحديوي ؛ ثم تحول إلى وزارة الداخلية فشفغل فيها منصباً كبيراً حتى مات رحمه الله ، وهو صاحب رسائل « أحلام الأحلام » وكتاب « حماة الإسلام » الذي نشر منها في جريدة اللواء . وتوفي سنة ١٣٢٠ هـ .

(٢) لقد جرى الكاتب أهل العصر في استعمال هذه الكلمة ؛ والاستلام لا يكون إلا للحجر الأسود .

(٣) اسم رجل أنشأ نفسه ويضرب به المثل ؛ قال النابغة الذبياني يمدحه :

نفس عصام سودت عصاما \* وعلمته الكر والإقداما

\* وصيرته ملكا هاما \*

(٤) حديد : قوى نفاذ .

بِعَيْنِي) ، ثُمَّ سَرَّحْتُ نَظْرِي فِي الْأَطْلَالِ وَالرُّشُومِ <sup>(١)</sup> حَتَّى نَظَرْتُ نَظْرَةً  
فِي النُّجُومِ ، فَلَمْ تُخَفِ عَنِّي شَجَرًا وَلَا مَدْرًا <sup>(٢)</sup> وَلَا نَجْمًا ، وَلَا قَرًا :

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

بِهَيَاءٍ ، يُحَيِّلُ لِي أَنَّهَا صِيغَتْ مِنْ ضِيَاءٍ ، فَلَوْ كَانَتْ فِي يَدِ ذَلِكَ الظَّمَانِ  
— أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — لَمَا كَانَ يَحْسِبُ أَنَّ السَّرَابَ مَاءً ، اسْتَغْرَبَتْهَا الْعُقُولُ  
حَتَّى صَارَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ فِيهَا نَظْرٌ ، وَاطَّلَعَتْ عَلَى تَفَاوُتِ النَّاسِ جَاءَتْ لِكُلِّ  
بَصَرٍ بِقَدَرٍ ، وَنَالَ بِهَا كُلُّ قَصْدَةٍ وَمَرَامَةٍ ، وَاسْتَوَى عِنْدَهَا « أَعْمَى وَأَعْشَى  
ثُمَّ ذُو بَصَرٍ وَزَرْقَاءٌ <sup>(٣)</sup> الْيَمَامَةُ » ، فَلَوْ كَانَتْ عَيْنًا لَكَشَفَتْ حَقَائِقَ  
الضَّمَائِرِ ، وَنَظَرَ بِهَا تَقَلُّبُ الْقُلُوبِ وَحَقِيقَةُ الْبَصَائِرِ . شَهِدَ لَهَا الْجَمْعُ بِالْفَضْلِ  
لَمَّا ظَهَرَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لَدَيْهَا حَالَةٌ ضَعْفُهُ ، وَعَظَمَ مِقْدَارَهَا كُلُّ فَرْدٍ وَرَفَعَهَا  
— رَغْبَةً مِنْهُ أَوْ رَغْمًا — عَلَى أَنْفِهِ ، وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنِّي نَظَرْتُ بِهَا  
فِي سَمَاءِ فَضْلِكَ الْبَاهِرِ ، وَأُفُقِ شَرَفِكَ الطَّاهِرِ ، فَلَمْ يَنْكَشِفْ لِي بِهَا لِجُودِكَ  
آخِرٌ ، لَا زَالَ كَرَمِكَ بَعِيدًا حَدُّهُ عَلَى كُلِّ نَاطِرٍ وَبَاصِرٍ ، وَفَضْلٍ مِنْهَا لِمَا  
غَايَةَ تَقْصِدُهَا الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ .

(١) الأطلال والرسوم ما بقي من آثار الديار بعد أن تركها أهلها .

(٢) المدر : التراب المتلبد ؛ أو الطين .

(٣) امرأة يمانية يقال إنها كانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام .

١٠ - للشيخ محمد عبده<sup>(١)</sup> « من رسالة التوحيد »

## القرآن

جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تتطرق إليه الريبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نشأته وأُمِّيَّته على الحال التي ذكرنا ، وتواترت أخبار الأمم كافة على أنه جاء بكتاب قال إنه أنزل عليه ، وأن ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ صدور في من عني بحفظه من المسلمين إلى اليوم

كتاب حوى من أخبار الأمم الماضية ما فيه معتبر<sup>(٢)</sup> للأجيال الحاضرة والمستقبلة ؛ نقب على الصحيح منها ، وغادر الأباطيل التي ألحقها الأوهام بها ، ونبه على وجوه العبرة فيها . حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم وبين أممهم ، وبرأهم مما رامهم به أهل دينهم المعتقدون برسالاتهم . أخذ<sup>(٣)</sup> العلماء من الملل المختلفة على ما أفسدوا من عقائدهم ، وما خلطوا في أحكامهم ، وما حرقوا<sup>(٤)</sup> بالتأويل في كتبهم ، وشرع للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة في العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمل الجماعة

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده في مجلة نصر إحدى قرى مديرية البحيرة ، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بحال الدين الأنفاني ، وكان أكثر الناس انتفاعاً به ، ثم نفي عقب الثورة العربية ؛ ولكنه عاد إلى مصر وتولى التدريس والقضاء في المحاكم الأهلية ثم الإفتاء مجتهداً محققاً وقد توفي سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثاراً ثمينة وطبعة من أنبه الطبقات المصرية .

(٢) معتبر : عبرة وموعظة .

(٣) أخذ : حسب .

(٤) التحريف : التغيير ؛ ووضع شيء مكان شيء .

ما كانت عند حدِّ ما قرَّره<sup>(١)</sup>، ثم عظمت المضرَّة في إهالها والانحراف عنها أو البعد بها عن الرُّوح الذي أودعته<sup>(٢)</sup> ففأقت بذلك جميع الشرائع الوضعية<sup>(٣)</sup> كما يتبيَّن للنَّاظر في شرائع الأمم . ثمَّ جاء بعد ذلك بحكم ومواعظ وآداب تخشع لها القلوب ، وتهش<sup>(٤)</sup> لاستقبالها العقول ، وتنصرف وراءها الهمم ، انصرفها في السبيل الأمم<sup>(٥)</sup> .

نزل القرآن في عصر اتفق الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرقى الأعصار عند العرب وأغزرها مادة في الفصاحة ، وأنه الممتاز بين جميع ما تقدمه بوفرة رجال البلاغة ، وفرسان الخطابة ، وأنفس ما كانت العرب تتنافس فيه من ثمار العقل ، وتتأجج الفطن والذكاء هو الغلب<sup>(٦)</sup> في القول ، والسبب إلى إصابة مكان الوجدان من القلوب ، ومقر الإذعان من العقول ، وتفاخيهم في المفاخرة بذلك مما لا يحتاج إلى الإطالة في بيانه . تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتماسهم الوسائل قريبتها وبعيدها ، لإبطال دعواه ، وتكذيبه في الإخبار عن الله ، وإتيانهم في ذلك على مبلغ استطاعتهم ، وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته ، والأمراء الذين يدعوهم

(١) يريد ما دامت قائمة على حدوده ، عاملة بأحكامه .

(٢) أودعته : حفظت فيه .

(٣) الشرائع الوضعية : القوانين التي تسنها الحكومات .

(٤) تهش : تتراح وتسر .

(٥) الأمم بفتح الهمزة والميم : البين الواضح .

(٦) الغلب : التغلب .

السُّلْطَانُ إِلَى مَنَاوَأْتِهِ<sup>(١)</sup> وَالْخُطْبَاءُ وَالشُّعْرَاءُ وَالْكِتَابُ الدِّينَ يَشْمَخُونَ  
بِأَنْوْفِهِمْ عَنِ مُتَابَعَتِهِ ، وَقَدْ اشْتَدَّ جَمِيعُ أَوْلِيكَ فِي مُقَاوَمَتِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَانْهَالُوا  
بِقُوَاهُمْ عَلَيْهِ اسْتِكْبَارًا عَنِ الْخُضُوعِ ، وَتَمَسَّكَ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ  
أَدْيَانِ آبَائِهِمْ ، وَحَمِيَّةٍ<sup>(٣)</sup> لِعَقَائِدِهِمْ وَعَقَائِدِ أَسْلَافِهِمْ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُخْطِئُ  
آرَاءَهُمْ ، وَيُسْفَهُ أَحْلَامَهُمْ<sup>(٤)</sup> ، وَيُحْتَقِرُ أَصْنَافَهُمْ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَا لَمْ تَعْهَدُهُ  
أَيَّامُهُمْ ، وَلَمْ تَخْفُقْ لِمِثْلِهِ أَعْلَامُهُمْ ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كَلِّهِ  
إِلَّا تَحْدِيهِمْ<sup>(٥)</sup> بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ ، أَوْ بِعَشْرِ  
سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَكَانَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُصْحَاءِ  
وَالْبُلْغَاءِ مَا شَاءُوا لِيَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ مِثْلِ مَا آتَى بِهِ لِيُبْطِلُوا الْحُجَّةَ ،  
وَيُفْجِمُوا<sup>(٦)</sup> صَاحِبَ الدَّعْوَةِ .

جَاءَنَا الْخَبْرُ الْمَتَوَاتِرُ أَنَّ مَعَ طُولِ زَمَنِ التَّحْدِي ، وَجَلَّاجِ<sup>(٧)</sup> الْقَوْمِ  
فِي التَّمَدِّي ، أُصِيبُوا بِالْعَجْزِ ، وَرَجَعُوا بِالْحَيْبَةِ ، وَحَقَّتْ لِلْكِتَابِ الْعَزِيزِ  
الْكَلِمَةُ الْعَالِيَا عَلَى كُلِّ كَلَامٍ .  
وله يصف نهج البلاغة :

أَوْ فِي لِي حُكْمِ الْقَدْرِ بِالْإِطْلَاعِ عَلَى كِتَابِ « نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » صُدْفَةٌ بِلا تَعْمَلُ  
أُصِيبَتْهُ عَلَى تَغْيِيرِ حَالِ<sup>(٨)</sup> ، وَتَبْلُبُ بِالِ ، وَتَرَاحِمُ أَشْغَالِ<sup>(٩)</sup> ، وَعُطْلَةٌ مِنْ أَعْمَالِ ،

(١) مناوأتة : محاربتة .

(٢) مقاومته : صده .

(٣) الحمية : الفيرة .

(٤) الأحلام : جمع حلم ؛ وهو العقل .

(٥) التحدى : طلب الإتيان بالشيء مع إظهار العجز عنه .

(٦) يفجمونه : يجهلونه بعيا عن النطق والمقاومة .

(٧) اللجاج : — هنا — المتابعة .

(٨) تبلبل بال : اضطرابه .

(٩) الأشغال : جمع شغل ؛ وهو ما يشغل النفس بـ أى تراحم المهوم وشواغل النفس .

حَسْبَيْتُهُ لِلتَّسْلِيَةِ ، وَجَمَلْتُهُ لِلتَّخْلِيَةِ . فَتَصَفَّحْتُ بَعْضَ صَفَحَاتِهِ ، وَتَأَمَّلْتُ جَمَلًا مِنْ عِبَارَاتِهِ ، مِنْ مَوَاضِعٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَمَوَاضِيَعٍ مُتَفَرِّقَاتٍ . وَكَانَ يُخَيِّلُ لِي فِي كُلِّ مَقَامٍ أَنَّ حُرُوبًا سَبَّتْ وَغَارَاتٍ شُدَّتْ ، وَأَنَّ لِلْبَلَاغَةِ دَوْلَةً وَلِلْفَصَاحَةِ صَوْلَةً ، وَأَنَّ لِلْأَوْهَامِ عَرَامَةً<sup>(١)</sup> ، وَلِلرَّيْبِ دَعَارَةً<sup>(٢)</sup> . وَأَنَّ جَحَافِلَ الْخَطَابَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَكِتَابِ<sup>(٤)</sup> الذَّرَابَةِ<sup>(٥)</sup> ، فِي عُقُودِ النَّظَامِ ، وَصُفُوفِ الْإِنْتِظَامِ ، تُنَافِحُ<sup>(٦)</sup> بِالصَّفِيحِ<sup>(٧)</sup> الْأَبْلَجِ<sup>(٨)</sup> ، وَالْقَوِيمِ الْأَمْلَجِ<sup>(٩)</sup> وَتَمْتَلِجُ<sup>(١٠)</sup> الْمَهْجِ<sup>(١١)</sup> ، بِرَوَائِعِ الْحُجَجِ . وَتَفْلُ<sup>(١٢)</sup> دَعَارَةَ الْوَسَاوِسِ ، وَتُصِيبُ مَقَاتِلَ الْخَوَانِسِ<sup>(١٣)</sup> . فَمَا أَنَا إِلَّا وَالْحَقُّ مُنْتَصِرٌ ، وَالْبَاطِلُ مُنْكَسِرٌ ، وَمَرَجُ الشَّكِّ فِي مُخُودٍ ، وَهَرَجُ<sup>(١٤)</sup> الرَّيْبِ فِي رُكُودٍ ، وَأَنَّ مُدَبِّرَ تِلْكَ الدَّوَلَةِ ، وَبَاسِلَ تِلْكَ الصَّوَلَةِ هُوَ حَامِلُ لَوَاهِمِهَا الْغَالِبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، بَلْ كُنْتُ كَمَا انْتَقَلْتُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَحْسُ بِتَغْيِيرِ الْمَشَاهِدِ ، وَتَحَوُّلِ الْمَعَاهِدِ :

- ( ١ ) عرامه — بفتح العين — شدة وشراسة .
- ( ٢ ) الدعارة — بفتح الدال وكسرهما — الفجور وسوء الخلق .
- ( ٣ ) الجحافل : جمع جحفل — بفتح الجيم — وهو الجيش الكثير .
- ( ٤ ) الكتاب : جمع كتيبة — بفتح الكاف — وهي القطعة من الجيش .
- ( ٥ ) الذرابة — بفتح الدال — : الفصاحة .
- ( ٦ ) تنافح : تدافع .
- ( ٧ ) الصفيح : السيوف ؛ وأراد بها هنا : المفرد .
- ( ٨ ) الأبلج : الأبيض اللامع .
- ( ٩ ) يريد بالقويم الأملج : الرمح المعتدل الأسمر .
- ( ١٠ ) تمتلج : تمتص .
- ( ١١ ) المهج : جمع مهجة — بضم الميم — وهي دم القلب .
- ( ١٢ ) لعله يريد بالخوانس ما يجول في النفس من خواطر السوء .
- ( ١٣ ) للرج — بفتح الراء — القلق والاضطراب ؛ وإنما تسكن الراء إذا قرنت بالهرج . والهرج — بكون الراء — الفتنة .

فَتَابَرَةً كُنْتُ أَجْدُنِي فِي عَالَمٍ يَعْمُرُهُ مِنَ الْمَعَانِي أَرْوَاحٌ قَالِيَةٌ فِي حُلَلٍ مِنْ  
الْعِبَارَاتِ الزَّاهِيَةِ ، تَطُوفُ عَلَى النُّفُوسِ الزَّاكِيَةِ (١) ، وَتَدْنُو مِنَ الْقُلُوبِ  
الصَّافِيَةِ ، تُوحِي إِلَيْهَا رَشَادَهَا وَتُقِيمُ مِنْهَا مُنَادَهَا (٢) ، وَتَنْفُرُ بِهَا عَنْ مَدَاحِضِ  
الْمُنْزَالِ (٣) ، إِلَى جَوَادِ (٤) الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، وَطَوْرًا كَانَتْ تَنْكَشِفُ لِي الْجَمَلِ  
عَنْ وُجُوهِ بَاسِرَةٍ (٥) ، وَأَنْبِيَاءِ كَاشِرَةٍ وَأَرْوَاحِ فِي أَشْبَاحِ النُّمُورِ ، وَتَحَالِبِ  
النُّسُورِ ، وَقَدْ تَحَفَّزَتْ لِلْوَثَابِ ، ثُمَّ انْقَضَتْ لِلِاخْتِلَابِ ، تَغْلِبَتْ الْقُلُوبَ عَنْ  
هَوَاهَا ، وَأَخَذَتْ الْخُوطِرَ دُونَ مَرْمَاهَا ، وَأَغْتَالَتْ فَاسِدَ الْأَهْوَاءِ ، وَبَاطَلَ  
الْآرَاءِ . وَأَحْيَانًا كُنْتُ أَشْهَدُ أَنَّ عَقْلًا نُورَانِيًّا ، لَا يَشْبَهُ خَلْقًا جُسْدَانِيًّا ،  
فَصَلَ عَنِ الْمَوْكِبِ الْإِلَهِيِّ (٦) ، وَاتَّصَلَ بِالرُّوحِ الْإِنْسَانِيِّ ، نَخَلَعَهُ عَنْ غَاشِيَاتِ  
الطَّبِيعَةِ وَسَمَّا بِهِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى ، وَنَمَّا (٧) بِهِ إِلَى مَشْهَدِ النُّورِ الْإِجْلِيِّ ،  
وَسَكَنَ بِهِ إِلَى عَمَارِ جَانِبِ التَّقْدِيسِ ، بَعْدَ اسْتِخْلَاصِهِ مِنْ شَوَائِبِ التَّلْبِيسِ  
وَأَنَاتِ (٨) كَأَنِّي أَسْمَعُ خَطِيبَ الْحِكْمَةِ ، يُنَادِي بِأَعْلِيَاءِ الْكَلِمَةِ ، وَأَوْلِيَاءِ  
أَمْرِ الْأُمَّةِ ، يُعَرِّفُهُمْ مَوَاقِعَ الصَّوَابِ وَيُبَصِّرُهُمْ مَوَاضِعَ الْإِرْتِيَابِ وَيُحَذِّرُهُمْ  
مِنْ أَلِقِ الْإِضْطِرَابِ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى دَقَائِقِ السِّيَاسَةِ ، وَيَهْدِيهِمْ طَرِيقَ  
الْكِيَاسَةِ ، وَيَرْتَفِعُ بِهِمْ إِلَى مَنْصَبَاتِ (٩) الرِّيَاسَةِ ، وَيُضْعِدُهُمْ شَرَفَ التَّدْبِيرِ ،  
وَيُشْرِفُ بِهِمْ عَلَى حُسْنِ الْمَصِيرِ .

(١) الزاكية : المطهرة .

(٢) المناد : المتأدب : العوج .

(٣) المداحض : جمع مدحضة — بفتح الميم — وهي المزاقة والمزلة .

(٤) الجواد — بتشديد الدال — جمع جادة ؛ وهي معظم الطريق أو وسطه .

(٥) باسرة : متقطعة . (٦) فصل عنه — بصيغة البناء للفاعل — خرج عنه . (٧) نما به : ارتفع .

(٨) آنات : أوقات . (٩) المنصبات : جمع منصبة — بكسر الميم — وهي الكرسي .

## ١١ - إبراهيم بك المويلحي<sup>(١)</sup>

يَشْكُو بِلِسَانِ حَاجٍّ مَا رَأَى إِحْدَى السَّنِينِ فِي الْحِجِّ مِنْ فَتْكَ الْوَبَاءِ<sup>(٢)</sup>  
بِالْحِجَّاجِ وَإِهْمَالِ السُّلْطَاتِ شَأْنَهُ وَشَأْنَهُمْ

ترجمت إلى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كَذَا فَلْيَجَلْ<sup>(٣)</sup> اَلْخُطْبُ وَلْيَفْدَحْ<sup>(٤)</sup> الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُدْرُ  
يقول الشاعر البيت الجزل من الشعر لغرض له حقير ، ثم يتركه ويأتي  
من بعده مَنْ يَضَعُهُ مَوْضِعَهُ اللَّائِقُ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ . وَإِنَّ هَذَا الْبَيْتَ  
لَا يَجَلُ مَحَلَّهُ فِي رِثَاءِ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لِيُسَكِّيَ بِهِ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ  
فِي مَكَّةَ هَذَا الْعَامِ ، وَلَا غَرَوْ<sup>(٥)</sup> أَنْ تَرْتَعِدَ الْيَدُ وَيَقِفَ الْقَلَمُ ، وَيَتَلَعَّمِ اللِّسَانُ  
عِنْدَ وَصْفِ مَا فَعَلْتَهُ الْعَنِيَّةُ حِينَ قَامَتْ تَفْتِكُ فِي الْأَرْوَاحِ ، وَتَهْتِكُ فِي  
الْأَشْبَاحِ<sup>(٦)</sup> ، حَتَّى فُرِشَتْ الْأَزِقَّةُ بِالْمَوْتَى ، وَأَقَامَتْ مِنْهُمْ كُثْبَانًا<sup>(٧)</sup> تَشْهَدُ  
عَلَى عَجْزِ الْقَوْمِ عَنِ تَدَارُكِ الْأُمُورِ .

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلج ببلاد العرب ؛ وقد انحدروا إلى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ إبراهيم في بيت حسب وغمي ، وكان أبوه من كبار التجار يتجر في الحرير ؛ فنزع إبراهيم ، مع معالجته التجارة ، إلى الأدب فقرأ كثيراً من كتب المتقدمين ، وكان من أوائل من استظهروها ؛ حتى برع في الأدب ؛ وحذق الفرنسية والتركية ، وجود التاريخ القديم والحديث ، واتصل بالأفاضل المبرزين في عصره وشرع لونا من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وحفولة اللفظ ، وبين الوقوع على المعاني الغريبة ؛ والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة ، فكان في بيانه نسيج وحده ، وهو يعد بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية في العصر الحديث . وقد أصدر جريدة نزهة الأفكار ، ثم جريدة مفتاح الشرق وحرر فيها وفي كثير من الصحف التي كانت قائمة في عهده . وتوفي سنة ١٩٠٦ م ( ١٣٢٣ هـ ) .

(٢) الوباء : المرض العام ينزل بالبلد فيصيب أهلها ويتفشاهم .  
(٣) فليجل : فليعظم .  
(٤) فدح الأمر : نقل وصعب احتماله . (٥) لا غرو : لا يحجب .  
(٦) المراد من الأشباح هنا : الأجسام  
(٧) الكشبان : جمع كثيب . وهو التل من الرمال .

ولقد رأيتُ من المناظر المدهشة ما تتصاغر عنده عظيماتُ النوائب ،  
وتتضاءل لديه جسيماَتُ المصائب ، فمن ذلك أني رأيتُ شاباً عليه شارةٌ<sup>(١)</sup>  
الحِشمة والنَّجابة ، يتخبَّطُ في التراب ولا يستطيعُ إشارةً ولا كلاماً ، وإنما  
كان يطلبُ بعينه المملوءة تين بالدَّمع أن يدنو منه أحدُ المارة فدَنوتُ منه  
فوجدتهُ قد مات . فأبكاني موتهُ غريباً عن أهله وقومه على تلك الحالة  
المؤلمة ، فطلبتُ بالأجرة من يدفنه فلم أجِد أحداً ، على إفراط حُبِّ المال  
في هذا البلد . فكتبتُ ورقةً وأرسلتها إلى قاضي مكة أسأله المَعونة على  
دفن هؤلاء الغُرباء المطروحين تحتَ أقدامِ الناسِ في الطَّرِيق ، فأجابني بأن  
هذا لا يعلَقُ<sup>(٢)</sup> بشيءٍ من وظيفته ، ولا يخصُّه الاشتغالُ به افسألتُ عن غيره  
من أصحابِ الحُلِّ والعقد<sup>(٣)</sup> ، فوجدتهم قد طاروا إلى الطائف وتركوا مكة  
للقتلِ العامِّ .

وبينا أنا حيران في وسطِ هذه المقبرة المكشوفة ، إذ لاحَت مِنِّي النِّفَاطَةُ  
إلى الموتى فرأيتُ وليتني لم أرَ ، امرأةً اختطفَتْها المنيَّة من بنتٍ لها صغيرة  
لم تبلغ سنَّ التَّمييزِ بينَ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ ، وقد شرَّعتْ تلك الصغيرة تُحرِّكُ  
أمها بيديها لإيقاظها ، وتبكي لعدم إجابتها ، بعيونٍ تقسمتْ نظرَاتها بين السماء  
والأرض ، وتمدُّها في خِلالِ تلك النَّظراتِ المُبهمَةِ أنَّها لا تعودُ لشيءٍ كانت  
نَهتُها عنه ، بعباراتٍ تستخرجُ الحنوءَ<sup>(٤)</sup> والشفقة من القلوب الصَّخريَّة .

(١) الشارة : العلامة والدلالة . (٢) يعلق : يتصل . أي ليس من شأنه .

(٣) المراد أهل التصرف في الأمور ، وهم رجال الحكومة . (٤) الحنوء : الحنان .

فَأَمْسَكَتُ بِالْبِنْتِ وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَصِيفَ لَكَ كَيْفَ فَصَلَّتْهَا عَنْ رَمَّةٍ (١) أُمَّهَا ،  
وكيف كان حالها وحال من يراها عند آخر نظرة نظرتها إلى والدتها وكافلتها (٢)  
ثم قفلنا إلى جدة مُشْتَتَيْنِ ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الدَّوْلَةَ قَدْ أَرْسَلَتْ وَابُورًا لِنَقْلِ  
الْحَجَّاجِ ، وَلَيْتَهَا لَمْ تُرْسَلْ فَإِنَّ قِبْطَانَ الوابور كان أشدَّ قَسْوَةً عَلَى الْحَجَّاجِ  
مِنَ الْمَوْتِ : أَمْرًا أَوْلاً بِالْقَاءِ قَسَمَ مِمَّا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَزْوَادِ (٣) . فِي الْبَحْرِ  
يَدْعَوِي الْمَحَافِظَةَ عَلَى الصَّحَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ يَبِيعُ لَهُمْ ثَانِيًا ، وَهُمْ فِي اللَّجَّةِ (٤) مِمَّا  
اِحْتَكَرَهُ مِنَ الْقَوْتِ ، يَبِيعُ الْقَحْطَ الْيُوسُفِي (٥) . وَلَمَّا لَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ مِنَ النَّقْدِ  
شَيْءٌ ، شَرَعَ يَبِيعُ لَهُمْ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا وَالسَّبِخِ ، وَكَانَ الْجَبَّارُ لَا يُحِبُّ أَنْ  
يَسْمَعَ بِمَرِيضٍ فِي السَّفِينَةِ ، وَلِهَذَا اضْطُرَّ كَثِيرٌ أَنْ يَكْتُمُوا أَمْرَهُمْ .  
وَمَا زِلْنَا مَعَهُ عَلَى شَفَاءٍ (٦) الْخَطَرَ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى الطُّورِ ، فَلَقِينَا هُنَاكَ مِنْ  
كِبْرِيَاءِ الْأَطِبَّاءِ وَعَظَمَتِهِمْ مَا تَمَنَيْنَا لَهُ أَنْ نَكُونَ طُعْمًا (٧) لِلْحَيْتَانِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا  
يَأْنَفُونَ أَنْ يَمْسُوا أَيْدِيَ الْحَجَّاجِ بِأَيْدِيهِمْ ؛ وَكَانُوا يَكْتَفُونَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ (٨)  
إِلَيْهِمْ . وَكَثِيرًا مَا كَانُوا يَمْتَرِضُونَ عَلَى الْحَجَّاجِ . فَاعْتَمَدْتُ أَنَّ الْخَيْرَ اِرْتَفَعَ  
إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَنَّ الْأَرْضَ أَصْبَحَتْ قَاعًا صَفْصَفًا (٩) مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَأَنَّ  
الَّذِينَ نَرَاهُمْ هُمْ شَيْطَانِينَ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ ؟

(١) الرمة : الجثة . (٢) الكافلة : التي تكفله وتقوم على أمره .

(٣) الأزواد : جمع زاد . وهو ما يتخذ من الطعام للسفر .

(٤) أي في عرض البحر . (٥) القحط الذي أصاب مصر ، وذكر في القرآن في سورة يوسف .

(٦) الشفاء : حرف كل شيء . (٧) الطعم : الطعام .

(٨) النظر الشرر : هو النظر بجانب العين دليلاً على الإعراض أو الغضب .

(٩) الصفصف : المستوى المطمئن . والمراد : أنها خالية لا أحد بها .

وَقَصَارَى الْقَوْلِ إِنَّا فِي زَمَنِ أَصْبَحَ الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ فِيهِ كَالْقَابِضِ عَلَى  
الْجَمْرِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

ومن كتاب له :

« أَكْتُبُ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ ، وَنَفْسِي تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فِي عُلوِّهَا  
وَارْتِفَاعِهَا نَظَرَ السَّاحِفَةِ إِلَى الْأَجْدَلِ <sup>(١)</sup> فَوْقَ شُرُفَاتِ الْمَجْدَلِ <sup>(٢)</sup> ، وَتُحَدِّثُنِي :  
لَوْ مَدَدْتَنِي طَرِيقَ قَضْبَانِهِ مِنَ الذَّهَبِ لَا الْحَدِيدِ وَمَرَّ كِبَاتُهُ مِنَ الْيَوَاقِيتِ ،  
وَسَائِقُ آلَتِهِ جِبْرَائِيلُ ، لِيُبَلِّغَنِي بِلَدَا أَسَاكِينُ فِيهِ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ ، لَفَضَّاتُ  
الْجُلُوسِ حَيْثُ أَنَا الْآنَ ، أَكْتُبُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ  
لَا أَظْلِمُ وَلَا أُظْلَمُ ! »

## ١٢ — الشيخ إبراهيم اليازجي <sup>(٣)</sup>

كتب يعزى بعض أصدقائه :

مَنْ عِلْمٌ أَنَّ الْقَضَاءَ وَقَعَ ، وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ الْمَصَارِعِ <sup>(٤)</sup> ، فَلَمْ يَصْحَبْ  
دَهْرُهُ عَلَى غَرَّةٍ <sup>(٥)</sup> ، وَلَمْ يَفْتَرِ <sup>(٦)</sup> ، مِنْ الْأَقْدَارِ بِفِتْرَةٍ <sup>(٧)</sup> ، لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرِّزِيئَةُ <sup>(٨)</sup>

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) المجدل : بكسر الميم وفتح الدال : القصر .

(٣) يعد إبراهيم اليازجي من خير علماء اللغة والنحو والأدب في هذا العصر . أصدر باسمه مجلتي

البيان والضياء . وله مؤلفات محكمة في علوم اللغة والنقد اللغوي . توفي سنة ١٣٢٤ هـ .

(٤) المصارع : المهالك .

(٥) الغرة : الغفلة .

(٦) يفتري : يسكن .

(٧) الفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين النوبتين من الحمى .

(٨) الرزية : المصيبة .

إِذَا اغْتَالَتْ ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ<sup>(١)</sup> ؛ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً  
وَهَبَةً<sup>(٢)</sup> ، وَإِنَّ لِلْيَالِي كَمَنَةً<sup>(٣)</sup> وَوَثْبَةً . وَمِثْلَكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي الْأُمُورِ  
وَمَصَايِرَهَا<sup>(٤)</sup> ، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا . وَإِنَّمَا الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ  
أَطْوَارِ الْوُجُودِ ، وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجُودِ . وَلَا أَرِيدُكَ عِلْمًا بِالْكَوْنِ  
وَشَرَائِعِهِ ، وَالكَائِنِ وَطَبَائِعِهِ . إِنَّمَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ فَجَّأَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ ، وَحَلَّ  
بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ . وَحَسْبِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ  
الْمُبَاحِ ، وَمِنَ التَّأْسِيَةِ<sup>(٥)</sup> مَا تَعَلَّمُهُ مِنْ حَالِ مُخَاطَبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ .  
وَمَا أَخْلَقَنِي<sup>(٦)</sup> بَأَنْ أَقُولَ : إِنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا عَلَى أَشْجَانِي<sup>(٧)</sup> ،  
وَنَكَأً<sup>(٨)</sup> مَا تَمَائِلُ<sup>(٩)</sup> مِنْ قَرَحَةِ أَحْزَانِي . وَلَسَكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إِلَى  
حَالٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ ، وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسَلْمٍ وَلَا قِتَالٍ ، فَكَأَنَّمَا إِلَيَّ عَنَى  
أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ<sup>(١٠)</sup> حَتَّى فَوَّادِي فِي غِشَاءِ<sup>(١١)</sup> مِنْ نِبَالٍ<sup>(١٢)</sup>  
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامُ تَكَسَّرَتْ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ<sup>(١٣)</sup>

( ١ ) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له ، وإن طال أمد السلامة ، لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائماً داخلة في حسابه .

( ٢ ) الهبة بتشديد الباء المفتوحة : النهوض من النوم .

( ٣ ) يريد بالكمنة السكون .

( ٤ ) مصاير الأمور : غاياتها .

( ٥ ) التأسية : التصبير والتعزية .

( ٦ ) ما أخلقني : ما حقني وأولاني .

( ٧ ) الشجن بفتح الشين والجيم : الهم والحزن ، وجمه أشجان .

( ٨ ) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرا .

( ٩ ) تمائل : قارب البرء .

( ١٠ ) الأرزاء : جمع رزء ، وهو المصيبة .

( ١١ ) الغشاء : الغطاء .

( ١٢ ) النبال : جمع نبله ، وهي السهم .

( ١٣ ) النصال : جمع نصل بفتح النون وسكون الصاد ، وهو حديدة السهم وطره .

وكتب إلى صديق له :

مَهْمَا زِدْتَنِي مِنْ جَمِيلِكَ الْمَأْلُوفِ ، وَصَنِيْعِكَ <sup>(١)</sup> الْمَعْرُوفِ . فَمَا أَزِيدُكَ عَلَى مَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُ حَالِي مِنْ الْاِعْتِرَافِ بِتَطَوُّلِكَ <sup>(٢)</sup> ، وَالثَّنَاءِ عَلَى تَفَضُّلِكَ ، لَا سِيْمَا فِيْمَا أَبَدَيْتَ مِنْ الْحَفَاوَةِ <sup>(٣)</sup> وَاللُّطْفِ فِي جَانِبِ أَخِي وَأَخِيكَ النَّازِلِ فِي كِنْفِ <sup>(٤)</sup> تَذْيِيرِكَ ، الْمَوْ كَوْلِ إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَهِيَ يَدٌ <sup>(٥)</sup> لَكَ حَمَلَتْ جَمِيْلَهَا عَلَى عَاتِقِي <sup>(٦)</sup> فَوْقَ مَا أَثْقَلْتَهُ أَيْدِيكَ السَّابِقَةُ ، وَأَنْطَافِكَ <sup>(٧)</sup> السَّالِفَةَ . وَإِنِّي لَأْمُلُّ لَهُ بِمُوَازَرَتِكَ <sup>(٨)</sup> نَجِيْحًا لَا يَعْتَرِضُهُ إِخْفَاقٌ مَسْعَى ، وَفَوْزًا لَا يَصْدُرُ <sup>(٩)</sup> عَنْهُ طَيْشٌ رَأَى . وَأَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ وَلَهُ السَّلَامَةَ وَالتَّوْفِيْقَ بِمَنْه <sup>(١٠)</sup> وَطَوُّلَهُ <sup>(١١)</sup> .

١٣ - مصطفى باشا كامل <sup>(١٢)</sup>

من خطبة له :

أَيُّهَا السَّادَةُ : إِنَّكُمْ بِاجْتِمَاعِكُمْ الْيَوْمَ هَذَا الْاجْتِمَاعَ الْوَطْنِيَّ تَرْفَعُونَ كَثِيْرًا مِنْ مَقَامِ الْوَطْنِيَّةِ الْمَصْرِيَّةِ وَتَخَفِّفُونَ مِنْ آلامِ مِصْرَ الْعَزِيْزَةِ الَّتِي قَاسَتْ

- ( ١ ) الصنيع المكرمة .  
( ٢ ) التطول : التفضل .  
( ٣ ) الحفاوة بالرجل : لإكرامه وإظهار السرور به .  
( ٤ ) الكنف بفتح الكاف والنون : الظل والجانب . والمراد هنا : الرعاية .  
( ٥ ) اليد : النعمة .  
( ٦ ) العاتق : ما بين المنكب والعنق .  
( ٧ ) الأنطاف ، جمع لطف ، بفتح اللام والطاء ، وهو الإحسان والإتحاف .  
( ٨ ) المؤازرة : المعاونة .  
( ٩ ) يصدر عنه : أي لا يكون منه .  
( ١٠ ) المن : المنة .  
( ١١ ) الطول : الفضل .

( ١٢ ) خطيب وسياسي وزعيم مصري ، تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة ، وانصرف إلى مقاومة الاحتلال الإنجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين : لإحداهما بالفرنسية ، والأخرى بالانجليزية . وتنقل في بلدان أوربا داعياً للوطن وكان فصيحاً مؤثراً في كتابه وخطابته ، مات شاباً سنة ١٣٢٦ هـ ( سنة ١٩٠٨ م ) .

وَتَقَاسَى أَشَدَّ الْعَذَابِ عَلَى مَشْهَدٍ مِنْكُمْ يَا أَعَزَّ بَنِيهَا وَيَا نُخْبَةَ أَنْجَابِهَا . فَكُلُّ  
اجْتِمَاعٍ وَطَنِيٍّ تَذَكُرُ فِيهِ مَصْرُ وَيَطَالِبُ بِحَقُوقِهَا ، وَيُعَلِّنُ أَبْنَاؤُهَا  
إِخْلَاصَهُمْ لَهَا ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَرَهَمٌ لِجِرَاحِهَا وَدَوَاءٌ لِذَائِبِهَا فَاذْكُرُوهَا  
مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ فِي ذِكْرِهَا ذِكْرَ آلِهَا ، وَذِكْرَ آلِهَا تَجْرُّ حَتْمًا إِلَى  
ذِكْرِ عَوَامِلِ الشِّفَاءِ . اذْكُرُوهَا كَمَا يَذْكُرُ الْوَلَدُ الْخُنُونَ أُمَّهُ الشَّفِيقَةَ ، وَهِيَ  
عَلَى سَرِيرِ الْمَرَضِ وَالْعِنَاءِ . اذْكُرُوهَا بِآلِهَا وَإِنْ كَانَ غَيْرُكُمْ يَذْكُرُ بِبِلَادِهِ  
بِمَجْدِهَا وَرِفْعَةِ شَأْنِهَا . اذْكُرُوهَا فَإِنَّكُمْ مَا دُمْتُمْ مُقَدَّرِينَ لِمَصَائِبِهَا عَارِفِينَ  
بِحَقِيقَةِ آلِهَا ، دَامَ لِأَمَلٍ وَطِيدًا (١) فِي سَلَامَتِهَا وَدَامَ الرَّجَاءُ . اذْكُرُوهَا ،  
فَمَنْ الْمُسْتَحِيلُ أَنْ يَرَى الْعَاقِلُ النَّارَ فِي دَارِهِ ، وَالِدَاءُ فِي شَخْصِ أُمَّه ، وَيُهْمِلُ  
النَّارَ وَيُهْمِلُ الدَّاءَ . . .

ثم قال وهُنَاكَ فِئَةٌ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ لَا أَنْكُرُ إِخْلَاصَ رِجَالِهَا لِلْوَطَنِ  
الْعَزِيزِ ، وَلَكِنْ أَنْكُرُ عَلَيْهِمُ الْيَأْسَ الَّذِي يَتَّظَاهِرُونَ بِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ  
وَفِي كُلِّ مَكَانٍ . فَهَمَّ مَا عَمِلُوا وَلَا يَعْمَلُونَ لِلْبِلَادِ عَمَلًا نَافِعًا ، وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا  
الْيَأْسَ عِلَّةَ عَدَمِ الْعَمَلِ وَعِلَّةَ الْكَسَلِ ! فَإِنْ سَأَلْتَهُمْ لِمَ لَا تَقُومُونَ بِعَمَلٍ  
عُمُومِيٍّ نَافِعٍ لِلْبِلَادِ ؟ أَجَابُوا : « نَحْنُ يَا بُنَيَّ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ الْوَطَنِ ، مَعْتَقِدُونَ  
إِظْلَمَةَ الْأَيَّامِ الْآتِيَةِ » فَبِاللَّهِ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ طَيِّبٌ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى عَائِلٍ بَعْدَهُ  
لِشِفَاءِ قَبْلِ أَنْ يَفْحَصَ دَاءَهُ وَيُعْطِيَهُ الدَّوَاءَ ؟ عَلَى أَنَّنَا نَرَى الْكَثِيرَ مِنْ  
لِأَطْبَاءٍ لَا يَبْدَأُ مِنْ شِفَاءِ الْمَرِيضِ حَتَّى فِي آخِرِ لِحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ . فَكَيْفَ

(١) وَطِيدًا : نَابِتًا قَوِيًّا

يئأسُ رجالٌ من بنى مصرَ من مستقبلِ البلادِ ؟ وَهُمْ إِنْ كَانُوا قَدْ خَبَرُوا دَاءَ  
مصرِ فَيَعْلَمُ اللهُ وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُمْ إِلَى الْيَوْمِ مَا قَدَّمُوا لَهَا الدَّوَاءَ .

كَيْفَ نَيْأَسُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَالْمُسْتَقْبَلُ بِيَدِ اللهِ وَخُدَّه ، وَكَثِيرًا مَا تَأْتِي  
الْحَوَادِثُ بِخِلَافِ الْمُنْتَظَرِ وَبِغَيْرِ حِسَابٍ ؟

هِيَ النَّفُوسُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي يُخْلَقُ عِنْدَهَا الْأَمَلُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِتَلْغِزٍ ! ثُمَّ  
يَسْتَوِي عَلَيْهَا الْيَأْسُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِتَلْغِزٍ ! أَمَّا النَّفُوسُ الْعَالِيَةُ الْكَبِيرَةُ  
فَيَدُومُ فِيهَا الْأَمَلُ مَا دَامَ الدَّمُ فِي الْعُرُوقِ وَمَا دَامَتِ الْحَيَاةُ .

وَأَيُّ حَيَاةٍ تَرْضَاهَا النَّفُوسُ الشَّرِيفَةُ مَعَ الْيَأْسِ ، أَيَجْمَعُ الْمَرْءُ فِي جِسْمِهِ  
وَاحِدِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ؟ إِذِ الْيَأْسُ مَوْتُ حَقِيقٍ وَأَيُّ مَوْتٍ ؟

كَيْفَ نَيْأَسُ وَنَحْنُ جَمِيعًا عَالِمُونَ بِأَنَّ مَا يَظْهَرُ طَوِيلًا فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ  
هُوَ قَصِيرٌ فِي حَيَاةِ الشُّعُوبِ ، فَعِشْرَتُنْ مِنَ السَّنَوَاتِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ طَوِيلَةٌ  
حَقًّا ، وَلَكِنَّهَا فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ قَصِيرَةٌ جَدًّا ، عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْيَأْسُونَ مُعْتَقِدِينَ  
بِصِحَّةِ أَفْكَارِهِمْ ، فَعَارَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا فِي الْأُمَّةِ بِوِظِيفَةِ تَثْبِيْطِ هَمِّ الْأَمَلِيِّينَ ،  
وَالْأَمَلِيِّينَ فِي الْبِلَادِ كَثِيرُونَ ، بَلِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مُؤَمَّلَةٌ خَيْرًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ . وَإِنْ  
لَمْ تَظْهَرْ إِلَى الْآنَ أَعْمَالُ الْأَمَلِيِّينَ فَسَتَظْهَرُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَسَتَرَى الْأُمَّةَ الْمِصْرِيَّةَ  
وَأُمَّةَ الْعَالَمِ أَجْمَعٍ أَنَّ لِلْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ أَبْنَاءَ مُخْلِصِينَ يَقْدِرُونَ الْوَطَنِيَّةَ قَدْرَهَا ،  
وَيَعْرِفُونَ لِمِصْرٍ حُقُوقَهَا .

وَلَا غَرْوَ فَإِنَّ سُبُلَ خِدْمَةِ الْوَطَنِ عَدِيدَةٌ، وَإِنَّ أَهْمَهَا إِعْلَانُ الْحَقِيقَةِ  
فِي كُلِّ بَلَدٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ. فَالْحُرِّيَّةُ بَدَتْ الْحَقِيقَةَ، وَمَا انْتَشَرَتِ الْحَقِيقَةُ  
فِي أُمَّةٍ إِلَّا وَارْتَفَعَتْ كَلِمَتُهَا، وَعَلَا شَأْنُهَا. فَالْحَقِيقَةُ نُورٌ سَاطِعٌ إِذَا  
انْتَشَرَ اخْتَفَى الظُّلْمُ وَالظُّلْمَةُ، وَانْتَشَرَتِ الْحُرِّيَّةُ وَالْعَدْلُ. فَكَمَا أَنَّ الْأَفْرَادَ  
لَا تُسَلَبُ حُقُوقُهُمْ، وَلَا يَتَعَدَّى الْأَصْوَصُ عَلَى أُمَّتِهِمْ، إِلَّا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ  
الْحَالِكِ، فَكَذَلِكَ شَأْنُ الْأُمَّةِ، لَا تُسَلَبُ حُقُوقُهَا، وَلَا يَتَعَدَّى الْعَدُوُّ عَلَى  
أَمْلَاكِهَا إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ مَجْهُولَةً فِيهَا، وَكَانَتْ هِيَ عَائِشَةً فِي الْجَهْلِ  
وَالظُّلَامِ.

ومن خطبة له ألقاها بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م :

« بِلَادِي ! بِلَادِي ! لَكَ حُبِّي وَفُؤَادِي، لَكَ حَيَاتِي وَوُجُودِي، لَكَ دَيْمِي  
وَنَفْسِي، لَكَ عَقْلِي وَلِسَانِي، لَكَ لُبِّي وَجَنَانِي، فَأَنْتِ أَنْتِ الْحَيَاةُ، وَلَا حَيَاةَ  
إِلَّا بِكَ يَا مِصْرُ !

« يَقُولُ الْجُهْلَاءُ وَالْفُقَرَاءُ فِي الْإِدْرَاكِ إِنِّي مُتَهَوِّرٌ <sup>(١)</sup> فِي حُبِّهَا، وَهَلْ  
يَسْتَطِيعُ مِصْرِي أَنْ يَتَهَوَّرَ فِي حُبِّ مِصْرٍ؟ إِنَّهُ مَهْمَا أَحَبَّهَا، فَلَا يَبْلُغُ الدَّرَجَةَ  
الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا جَمَالَهَا وَجَلَالَهَا وَتَأْرِيخُهَا، وَالْعِظْمَةَ اللَّائِقَةَ بِهَا.

« أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمُونَ ! انْظُرُوا هِيَ وَتَأَمَّلُوا هِيَ، وَطُوفُوا بِهَا، وَاقْرَءُوا مُصْحَفَ مَاضِيهَا  
وَاسْأَلُوا الزَّائِرِينَ لَهَا مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ : هَلْ خَلَقَ اللَّهُ وَطَنًا أَعْلَى مَقَامًا،

(١) التهور : الوقوع في الأمور بغير مبالاة ، ويريد به هنا : التهاك والمبالغة والإفراط .

وَأَسْمَى شَأْنَا، وَأَجْمَلَ طَبِيعَةً، وَأَجَلَ أَثَارًا، وَأَغْنَى تَرْبَةً<sup>(١)</sup>، وَأَضَى سَمَاءً،  
وَأَعَذَبَ مَاءً، وَأَدْعَى لِلْحَبِّ وَالشَّغْفِ<sup>(٢)</sup> مِنْ هَذَا الْوَطَنِ الْعَزِيزِ؟

أَسْأَلُوا الْعَالَمَ كُلَّهُ مُجِيبِكُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: إِنَّ مِصْرَ جَنَّةِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ  
شَعْبَهَا الَّذِي يَسْكُنُهَا وَيَتَوَارَثُهَا لِأَكْرَمِ الشُّعُوبِ إِذَا أَعَزَّهَا، وَأَكْبَرُهَا  
جِنَايَةً عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِهِ إِذَا تَسَامَحَ فِي حَقِّهَا، وَسَلَّمَ أَرْمَتَهَا<sup>(٣)</sup> لِلْأَجْنَبِيِّ.

إِنِّي لَوْلَمْ أَوْلَدْ مِصْرِيًّا لَوَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ مِصْرِيًّا؟

قَدْ يَرَى الشُّفَهَاءُ وَالطَّائِشُونَ أَنَّ الْأُنْتِسابَ لِشَعْبٍ مُسْتَعْبِدٍ كَالشَّعْبِ  
الْمِصْرِيِّ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِإِنْسَانٍ، وَلَكِنْ أَيْ شَرَفٍ يَطْمَعُ فِيهِ الْخُرُّ الْأَكْبَرُ  
مِنَ الْعَمَلِ لِأَحْيَاءِ الْأُمَّةِ الَّتِي سَمَقَتْ الْأُمَمَ كَافَّةً فِي الْعِلْمِ وَالْمَدَنِيَّةِ وَالْأَدَبِ؟  
أَي رِفْعَةٍ يَسْعَى الشَّرِيفُ إِلَيْهَا أَسْمَى مِنْ إِنْهَاضِ شَعْبٍ كَانَ أَسْتَاذَ الشُّعُوبِ  
الْبَشَرِيَّةِ، وَمُرَبِّي الْعَالَمِ كُلِّهِ أَيْ سُودِدِ<sup>(٤)</sup> تَرْمِي النُّفُوسُ الْأَبِيَّةَ إِلَيْهِ  
أَعْلَى مِنْ إِخْرَاجِ الْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَإِحْلَالِهِ الْمَحَلَّ  
الْأَوَّلَ بَيْنَ الْأَوْطَانِ الْأُخْرَى الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّجْنَةِ<sup>(٥)</sup> الْحَالِكَةِ<sup>(٦)</sup> يَوْمَ  
كَانَتْ بِلَادِنَا مَشْرِقًا لِلْعَرَفَانِ؟

(١) التربة: التراب ويراد بها الارض وجودتها.

(٢) الشغف: شدة الحب وتمسكه.

(٣) الأزمة: جمع زمام، وهو الحيل تقوده، والمراد بأرمله مصر هنا: شئونها العامة.

(٤) السودد: الشرف والمهد.

(٥) الدجنة: الظلمة.

(٦) الحالكة: الشديدة الظلام.

لَيْتَ شِعْرِي <sup>(١)</sup> ! أَيُّ لَذَّةٍ وَسَعَادَةٍ وَمُكَافَأَةٍ يَطْلُبُهَا الْوَطَنِيُّ الْمِصْرِيُّ  
أَكْبَرَ مِنْ اشْتِرَاكِهِ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِي هُوَ أَجَلُ عَمَلٍ يَرَاهُ الْعَالَمُ  
فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ؟

إِنَّ الْمَكْسَبَ الْأَدَبِيَّ لِلْوَطَنِيِّ الْمِصْرِيِّ مِنْ هَذِهِ الْخِدْمَةِ يَرْبُو عَلَى  
أَتْعَابِهِ <sup>(٢)</sup> وَمَجْهُودَاتِهِ بِكَثِيرٍ .

١٤ - الشيخ أحمد مفتاح <sup>(٣)</sup>

كتب في التَّهَادِي :

الْهَدِيَّةُ ( غَمْرَكَ اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ ) تَبْسُطُ يَدَ الْعَوْدَةِ وَتَدِرُّ أَخْلَافَ  
الْقُرْبِ <sup>(٤)</sup> ، وَتَغْرِسُ مَبَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ مِنَ الْأَيْتِلَافِ ، بِقَدْرِ مَا تَقْطَعُ بَيْنَهُمَا مِنْ  
شَجَرِ الْخِلَافِ . وَمَا أَنَا فِيهَا أَهْدِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا كَمَا تَبْضِعُ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ  
خَيْبَرَ <sup>(٥)</sup> ، أَوْ كَالْوَاهِبِ الْمَاءِ لِلْبَحْرِ ، وَالضَّوْءِ لِلْبَدْرِ ، وَالْمَلِكِ لِسُلَيْمَانَ ،  
وَالْمَالِ لِقَارُونَ ، وَالْحِلْمِ لِأَخْنَفَ ، وَالذِّكَاةَ لِإِيَّاسٍ وَالتَّفْسِيرَ لِابْنِ عَبَّاسٍ .  
وَمَا ذَاكَ إِلَّا كِتَابٌ كَمَا تَرَاهُ ضَرْبَ فِي الْإِحْكَامِ بِسَهْمٍ ، وَوَعَى مِنَ الْأَحْكَامِ  
مَا خَلَتْ مِنْهُ مُفَعَّمَاتُ الْأَسْفَارِ ؛ وَمَوْجَزَاتُ الرَّسَائِلِ ، فَهَوَ كَمَا قِيلَ :

« كَلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا » :

(١) ليت شعري : ليتني أشعر .

(٢) أتعاب : جمع تعب .

(٣) يتصل نسبه بالعرب ؛ نشأ بمصر ودرس بالأزهر ؛ وعنى بالأدب ، ثم دخل دار العلوم حتى إذا

خرج منها اشتغل في الصحافة والتدريس بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله عدة مؤلفات ،  
وطريقته في الكتابة تخضع للسجع القصير مع القصد في استعمال البديع .

(٤) الإدراج : الإكثار من اللبن . والأخلاف : جمع خلف ؛ وهو لذوات الحف كاللدى للانسان .

والقرب : الصلات . والمعنى أن الهدايا تقوى صلة الأخ بأخيه .

(٥) استبضع تمرًا . حمله بضاعة — وأرض خيبر مشهورة بالتمر ، ومنها يصدر .

تَزِينُ مَعَانِيهِ أَلْفَاظُهُ وَأَلْفَاظُهُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِي  
عَلَى أَنِّي وَإِنْ تَطَفَلْتُ عَلَيْكَ ، وَسُقْتُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ مُزْدَلِفًا<sup>(١)</sup> إِلَى  
جَنَابِكَ الرَّحْبِ ، وَمَقَامِكَ الْأَسْنَى<sup>(٢)</sup> ، فَقَدْ أَصَبْتُ كِبِدَ الصَّوَابِ ، وَوَضَعْتُهُ  
حَيْثُ بَمَرُّهُ أَهْلُوهُ ، وَبِتَقَبُّلِهِ مِنْ بَازِلِهِ عَالِمُوهُ ، عَلِمًا بِأَنَّكَ عِمَادُ الْعُلُومِ ،  
وَأَسَاسُ الْفَضَائِلِ ، لَا تُغَادِرُ شَارِدَةً إِلَّا وَعَيْتَهَا ، وَلَا نَادِرَةً إِلَّا رَوَيْتَهَا ، وَإِلَّا  
لَوْ كَانَ يُهْدَى عَلَى قَدْرِي وَقَدَّرِ كُمُو لَكُنْتُ أُهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا  
١٥ - الشيخ علي يوسف<sup>(٣)</sup>

كتب تحت عنوان « لا تعصب في مصر » :

التَّعَصُّبُ بِالْمَعْنَى الْمَعْرُوفِ فِي الْغَرْبِ عَنِ أَهْلِ الشَّرْقِ ، وَبِمَبَارَةٍ أُخْرَى  
عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، هُوَ انْبِثَاطُ رُوحِ الْعَدَاءِ وَالْبَغْضَاءِ مِنَ الْآخِرِينَ  
ضِدَّ الْأَوَّلِينَ ، انْبِثَاطًا يَحْمِلُ عَلَى الْاِئْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ حِينًا بَعْدَ حِينٍ .  
التَّعَصُّبُ بِهَذَا الْمَعْنَى رَذِيلَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ الَّتِي يَنْهَى عَنْهَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ ،  
وَالْقَوَانِينُ الْأَجْتِمَاعِيَّةُ ، وَفِي نَظَرِ الْأَوْرُيِّينَ هُوَ التَّوَحُّشُ الَّذِي يَفْتِكُ بِنَفُوسِ  
الْأَبْرِيَاءِ كَلَمًا ثَارَ ثَأْرُهُ ، أَوْ أَشْبَهَ بِالْعَوْلِ الْكَاشِرِ<sup>(٤)</sup> الَّذِي يَنْدَفِعُ بِعِمَائِقِهِ  
فَيَفْتَرِسُ كُلَّ مَا فِي طَرِيقِهِ مِنْ نَفُوسِ الْبَشَرِ .

(١) ازدلف إليه : تقرب .

(٢) الأسنى : الأرفع .

(٣) أصله من بلدة بلفورة بمرجا ، نشأ نشأة دينية ، ودرس بالأزهر ، ولكنه عني بالأدب ،  
وخرج صحفياً بارعاً ذا أسلوب قوي رائع ظهر في « الأويد » صحيفته المصرية الإسلامية . ونال منزلة سامية  
بقوة أسلوبه ، وشدة نفسه ، وذكاء جنانه توفى سنة ١٣٣١ هـ .  
(٤) الذي يكسر عن أنيابه .

التَّعَصُّبُ عَلَى هَذَا مَجْمُوعُ أَرْوَاحٍ شَرِّيرَةٍ لِانْظَامِ لَهَا فِي ثَوْرَانِهَا وَعُدْوَانِهَا،  
نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُرْزَأَ أُمَّةٌ بِهَذَا الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ <sup>(١)</sup> .

قالوا إنَّ المصريين مُتَعَصِّبُونَ تَعَصُّبًا دِينِيًّا . وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ  
الْمُخَالَفِينَ لَهُمْ فِي الدِّينِ كَرَاهَةً عَمِيَاءَ يَعْتَدُونَ عَلَيْهِمْ بِرُوحِ الْبَغْضَاءِ الْمُتَنَاهِيَةِ ،  
كَلَّمَا سَنَحَتْ لَهُمْ فُرْصَةُ الْاِقْتِرَاسِ أَوْ اسْتَفْزَمُوهُمْ صَاحِحٌ .

في البلاد مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ أَدْيَانٌ مُخْتَلِفَةٌ يَتَجَاوَرُ أَهْلُهَا فِي الْمَنَازِلِ ،  
وَيَتَشَارَكُونَ فِي الْمَرَاقِقِ <sup>(٢)</sup> ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي الْأَعْمَالِ ، فَلَمْ تَكُنْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ  
وَالْأَقْبَاطِ تِلْكَ الرُّوحُ الشَّرِّيرَةُ . وَلَوْ كَانَتْ فِي فِطْرَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ فِطْرَةِ  
الْفَرِيقَيْنِ اللَّاشَتِ <sup>(٣)</sup> الْأَكْثَرِيَّةُ الْأَقْلِيَّةُ فِي عُصُورٍ مَضَتْ ، وَخُصُوصًا  
فِي عُصُورٍ كَانَتْ الْجَهَالَةُ فِيهَا سَائِدَةً ، وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَّامِ مِنَ الْمَمَالِكِ  
وغيرهم يَبْذُرُونَ بِذُورَ الْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ لِالْخِدْمَةِ دِينِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ ،  
وَلَكِنْ لِأَغْرَاضٍ شَتَّى مَنَشُوهَا الشَّهَوَاتُ وَالْمَطَامِعُ . وَلَكِنَّ التَّوَارِيخَ  
تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ عَاشَا عَلَى الْوِثَامِ <sup>(٤)</sup> وَالسَّلَامِ فِي كُلِّ الظَّرْفِ أَوْ أَكْثَرِهَا .  
وَفَدَّ عَلَى الْقَطْرِ الْمِصْرِيِّ مِنْذُ أَوَّلِ عَهْدِ الْمَرْحُومِ مُحَمَّدِ عَلِيِّ بَاشَا الْكَبِيرِ وَفُودٍ  
مِنْ كُلِّ الطَّوَائِفِ الْمَسِيحِيَّةِ ، غَرْبِيَّةٍ وَشَرْقِيَّةٍ : مِنْ أَرْمَنَ وَأَرْوَامَ وَسُورِيَّيْنَ  
وَفَرَنْسَاوِيِّيْنَ وَطَلْيَانِيِّيْنَ وَإِنْكَايَزَ وَنَمْسَاوِيِّيْنَ وَأَمْرِيكَانِيِّيْنَ : مِنْ بُرْمُوتِسْتَانَتِ

(٢) المرافق : يريد شؤون المعاش .

(١) ترزأ : تصاب .

(٤) الوثام : الوفاق .

(٤) أى أفتها .

وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك من علماء وتجار وصناع وعملة<sup>(١)</sup> وهمل<sup>(٢)</sup> منتشرين، فلقى الكل في مصر صدراً رحيباً .

كان منهم الموظفون في كل مصلحة حتى تولى نوبار باشا رئاسة النظار في مصر، وكان قائم خديو، ورئيس الاحتفال بوكب المحمل الشريف، فهل يوجد في أمة غير الأمة المصرية المسلمة مثل هذا التساهل في رأس اختلاف دينياً مسيحياً مسلماً أو غير مسيحي؟ .

وكان من علماءهم<sup>(٣)</sup> الأساتذة والمعلمون ونظار المدارس والمكتشفون، فهل الأمة التي تربي أبناءها على أيدي الأساتذة من غير دينها، تعد متعصبة؟؟ وكان التجار على ما يجيئون من الرطب والسعة وحسن القبول، فضربو في البلاد بمتاجرهم من غث وسمين، وجيد وردى وخالص ومغشوش، حتى صارت مصر من أوسع أسواق متاجر أوربا ومعاملها التي وجدت إقبالا من الأمة هائلاً<sup>(٤)</sup> .

وهؤلاء بعض الأجانب يقيمون الأكواخ الصغيرة الحقيمة لبيع الحمور الرديئة في كل قرية من قرى القطر، مهما سحقت<sup>(٥)</sup> وقل عددها، أو يربون الخنازير ويثرون شيئاً فشيئاً حتى يكون الصعلوك منهم في بضع سنوات صاحب القرية ومزارعها ومدان أهلها وسيدهم، فهل هؤلاء هم المتعصبون الذين يُخشى من شرهم في وادي النيل على الأوربيين؟ .

(١) عملة : جمع عامل .  
(٢) الهمل : من لا عمل لهم ولا رئاسة عليهم .  
(٣) أي من العلماء غير المسلمين .  
(٤) الهائل يريد بها هنا : العظيم ، أو الكبير . وأصلها : من حال يهول : إذا زرع وأفزع ، وكان الإقبال لعظمه يهول ويروع .  
(٥) سحقت : بعدت .

## ١٦ - كتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله<sup>(١)</sup>

إلى بعض الأفاضل يطلب وده

كما أن شغف<sup>(٢)</sup> الجنان<sup>(٣)</sup>، بالحسن والإحسان، تكون داعيته المشاهدة  
وتسريح الأنظار في محيا<sup>(٤)</sup> الكمال، ومجتملى<sup>(٥)</sup> الجمال. فتري العين من تلك  
الغرة<sup>(٦)</sup> ما يمدوها قررة<sup>(٧)</sup>، فكذلك السماع يستدعى هذا الشغف، فيتأثر  
الفؤاد بما يشغف<sup>(٨)</sup> الأذن مما تهديه إليه طرائف<sup>(٩)</sup> الأخبار، حتى كأن حاستي  
السَّمْع والبَصَر في ذلك صنوان<sup>(١٠)</sup>، بل أخوان، في هيكل هذا الجثمان<sup>(١١)</sup>.

\*\*\*

ألا وإن محاسن السيّد الأجلّ لما سارت بها الرُّكبان، وأثني عليها  
كلُّ لسان، ما بين أخلاق أبهى من الرّوض النّضير<sup>(١٢)</sup> وأعراق<sup>(١٣)</sup> أشهى  
من عُذيب النّميم<sup>(١٤)</sup> قد احتلّت من فؤادي لأقول منزلاً رحيباً، ولا وادياً  
خصيباً؛ بل منزلة شماء<sup>(١٥)</sup> ودّارة<sup>(١٦)</sup> علياء<sup>(١٧)</sup>. وأوجاً بطوّالها السعيدة يسعد

(١) ولد بالإسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغة ونحوها، واشتغل بالصحافة في تونس ومصر.  
ثم مدرساً ومفتشاً بالمعارف، وقد توفي سنة ١٩١٨ م.

(٢) الشغف: شدة الحب.

(٣) الجنان بالفتح: القلب.

(٤) المحيا بضم الميم وتشديد الياء: الوجه.

(٥) مجتملى: منظره.

(٦) الغرة: الوجه.

(٧) قررت العين: جف دمعها وبردت من السرور. والاسم منه القررة بضم القاف.

(٨) يشغف الأذن: يطربها وأصله من لبس الشغف وهو القرط.

(٩) الطرائف: الأحاديث المستملحة.

(١٠) الصنوان: الأخوان الشقيقان.

(١١) الجثمان بضم الجيم: الجسم.

(١٢) النضير: الحسن.

(١٣) الأعراق هنا: بمعنى الطباع والصفات.

(١٤) النميم: الكثير من الماء.

(١٥) شماء: عالية.

(١٦) الدارة: الدار، ويريد بها المسكنة.

(١٧) الأوج: العلو.

وَيَلُوخُ بِهَا مِنْ ذِكْرَاهُ كُلِّ حِينٍ فَرَقَدَ<sup>(١)</sup> . فَلَمْ أَنْشَبْ<sup>(٢)</sup> أَنْ قَدَّمْتُ كِتَابِي  
هَذَا لِمَوْلَايَ بَيْنَ يَدَيِ اللِّقَاءِ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ بِهِ الزَّمَانَ ، وَتُشْعِرَ<sup>(٣)</sup> عَنْهُ اللَّيَالِي  
وَالْأَيَّامَ ، لِيُتَّاحَ<sup>(٤)</sup> لِي رَيِّ الْفُؤَادِ بِمَا أَرَوِيهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ الْخَيْلِ الَّذِي سَمَّاهُ  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ الْخَيْرِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا وُصِفَ لِي أَحَدٌ فَرَأَيْتَهُ  
إِلَّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَا وُصِفَ لِي سِوَاكَ ، وَإِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ ( الْحِلْمُ  
وَالْأَنَاةُ )<sup>(٥)</sup> مُقْتَدِيًا بِالْإِمَامِ مُحَمَّدٍ جَارٍ<sup>(٦)</sup> اللَّهُ فِي تَقْدِيمِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ  
عَلَى مَا أَنْشَدَهُ إِيَّاهُ الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّجَرِيِّ أَوَّلَ مَا لَقِيَهُ ، وَكَانَا قَدْ تَحَابَبَا بِالسَّمَاعِ :  
كَانَتْ مُسَاءَلَةَ الرُّكْبَانَ تُخْبِرُنَا عَنْ جَابِرِ بْنِ رَبَاحٍ أَطِيبِ الْخَبَرِ  
حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أُذُنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصْرِي

### ١٧ - المرحوم حفنى بك ناصف<sup>(٧)</sup>

كتب إلى الفاضل السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية :  
كتابى إلى السيد السند وَلَا أَجْسَمُهُ<sup>(٨)</sup> الْجَوَابَ عَنْهُ فَذَلِكَ مَا لَا أَنْتَظِرُهُ  
مِنْهُ ، وَإِنَّمَا أَسْأَلُهُ أَنْ يَنْشَطَ إِلَى قِرَاءَتِهِ ، وَيَتَنَزَّلَ إِلَى مُطَاعَتِهِ ، وَلَهُ الرَّأْيُ  
بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُجَاسِبَ نَفْسَهُ وَيُرَكِّبَهَا ، وَيَحْكُمَ عَلَيْهَا أَوْلَهَا .  
فَقَدْ تَنْفَعُ الَّذِي إِذَا كَانَ هَجْرَهُمْ دَلَالًا ، فَأَمَّا إِنْ مَلَّأَ فَلَا نَفْعًا

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ؛ وهما فرقدان .

(٢) لم أنشب : لم ألبث .

(٣) تشعر : تكشف .

(٤) يتاح لى . يتهيأ لى .

(٥) الأناة : الوقار والحلم .

(٦) هو الإمام الزمخشري العالم المفسر المشهور .

(٧) اقرأ ترجمته فى شعره .

(٨) جسمه الأمر : كلفه إياه .

زُرْتُ السَّيِّدَ ، وَيَعْلَمُ اللهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَى لِقَائِهِ ، كَجِرْصِي عَلَى بَقَائِهِ ، وَكَانِي <sup>(١)</sup>  
بِشُهُودِهِ <sup>(٢)</sup> ، كَشَفَنِي <sup>(٣)</sup> بِوُجُودِهِ ، فَقَدَّ بَعْدَ وَاللهِ عَهْدُ التَّلَاقِ ، وَطَالَ أَمَدُ  
الْفِرَاقِ ، وَتَصَرَّم <sup>(٤)</sup> الزَّمَانَ ، وَأَنَا مِنْ رُؤْيَيْتِهِ فِي حَرَمَانَ ، فَقِيلَ لِي : إِنَّهُ خَرَجَ  
لِتَشْيِيعِ <sup>(٥)</sup> زَائِرٍ ، وَهُوَ عَمَّا قَلِيلٍ حَاضِرٌ ؛ فَانْتَظَرْتُ رُجُوعَهُ ؛ وَتَرَ قَبْتُ طُلُوعِهِ ،  
وَلَمْ أَزَلْ أَعِدُّ اللِّحْظَاتِ ، وَأَسْتَطِيلُ الأَوْقَاتِ حَتَّى بَزَغَتِ الأَنْوَارُ ؛ وَارْتَجَّ  
صَحْنُ الدَّارِ <sup>(٦)</sup> وَظَهَرَ الاستَبْشَارُ عَلَى وُجُوهِ الزُّوَّارِ ، وَجَاءَ السَّيِّدُ فِي مَوْكِبِهِ ،  
وَجَلَّالَةَ مَحْتَدِهِ <sup>(٧)</sup> وَمَنْصِبِهِ ، فَقَمُنَّا لِاسْتِقْبَالِهِ ، وَهَيَّئْنَا <sup>(٨)</sup> بِكَمَالِهِ ؛ فَمَرَّ يَتَعَرَّفُ  
وُجُوهَ القَوْمِ حَتَّى حَازَانِي ، وَكَبَّرَ عَلَيَّ عَيْنِهِ أَنْ تَرَانِي ؛ فَغَادَرَنِي وَمَنْ عَلَيَّ  
يَسَارِي ، وَأَخَذَ فِي السَّلَامِ عَلَيَّ جَارِي ، وَجَرَ السَّلَامِ الكَلَامِ ، وَتَكَرَّرَ  
القُعُودُ وَالقِيَامُ ، وَأَنَا فِي هَذِهِ الحَالِ أَوْ هَمَّ جَارِي ، أَنِّي فِي دَارِي ، وَأُظْهِرُ لِلنَّاسِ  
أَنَّ شِدَّةَ الأَلْفَةِ ، تُسْقِطُ الكَلْفَةَ ؛ وَمَرَّ السَّيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَمَامِي ثَلَاثَ  
مَرَّاتٍ ، وَمِنْ الغَرِيبِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا فَاتَ ، وَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَخْلَصَ  
لِنَفْسِهِ مِنَ المَجْلِسِ أَرْبَعَةَ ؛ وَدَعَاهُمْ إِلَى الحُجْرَةِ فَدَخَلُوا مَعَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا القِيَامُ ،  
وَالإِمْسَاكُ عَنِ الكَلَامِ .

تَمْرُونِ الدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمْوَا عَلَى إِذْنِ حَرَامٍ <sup>(٩)</sup>

(١) الكلف بفتحين : الحب الشديد .

(٢) شهوده : رؤيته .

(٣) الشغف كالكلف .

(٤) تشييعه : توديعه .

(٥) المحتد : الأصل .

(٦) عاج : مال ، أى لم تميلوا إلى .

(٤) تصرم الزمان : انقضى .

(٦) صحن الدار : ساحتها .

(٨) الهيئمة : الصوت الخفى .

وَكَنتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَانَتِي عِنْدَ السَّيِّدِ لَا تُنْكَرُ ، وَأَنَّ عَهْدِي لَدَيْهِ  
لَا يُخْفَرُ (١) ؛ فَإِذَا أَنَا لَسْتُ فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ (٢) وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِيرٌ ،  
وَذَهَابُ صَاحِبٍ أَوْ أَكْثَرَ عَلَيْهِ يَسِيرٌ .

وَمَنْ مَدَّتْ الْعَلِيَا إِلَيْهِ يَمِينَهَا فَأَكْبَرُ إِنْسَانٍ لَدَيْهِ صَغِيرٌ

وَلَا أَدْعَى أَنِّي أُوَازِي السَّيِّدَ (صَانَهُ اللَّهُ) فِي عُلوِّ حَسَبِهِ ، وَأَدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ  
وَأَدَابِهِ ، أَوْ أَقَارِبُهُ فِي مَنَاصِبِهِ وَرُتَبِهِ ، أَوْ أَكَابِرُهُ فِي (٣) فَضَّتِهِ وَذَهَبِهِ ، وَإِنَّمَا  
أَقُولُ يَذْبَعُنِي لِلْسَّيِّدِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِي وَالْأَذْكَارِ ،  
وَشَهُودِ الْأَوَانِي عَلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِلسَّلَامِ ، وَتَأْيِيدِ جَامِعَةِ  
الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يَفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصًا لِلْخِلَاصِ (٤) وَمَنْ يَتَرَدَّدُ  
إِجَابَةً لِدَعْوَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَالَّذِي يَشْتَبِهُهُ عَلَيْهِ طَلَّابُ الْفَوَائِدِ (٥) بِطَلَّابِ الْعَوَائِدِ ،  
وَقُنَاصُ الشُّوَارِدِ (٦) بِنُقَبَاءِ الْعَوَالِدِ ، وَرُوَادُ الطُّرْفِ (٧) بِأَرْبَابِ الْحَرْفِ .

فَمَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتَ صَاحِبَ حَاجَةٍ وَلَا كُلُّ مَنْ قَابَلْتِ سَائِلَكَ الْعُرْفَا (٨)

(١) خفر عهده : تقضه .

(٢) يقال : هو لا في العير ولا في النفير ؛ أي أنه لا قيمة له ولا يحسب له أي حساب .

(٣) كآثره : فاخره بكثرة المال .

(٤) الخلاص بكسر الخاء : ما انتفى عنه الغش من الذهب والفضة أو الزبد . والمراد به هنا ما يقدم من

الصدقة ونحوها .

(٥) العوائد : جم عائدة وهي المنفعة .

(٦) يريد بالشوارد غرائب اللغة ونوادير الأدب .

(٧) الطرف بضم الطاء وفتح الراء : جمع طرفة بضم الطاء ، وهي الجديد الحسن التخير .

(٨) العرف : الجود والمعروف .

فَإِنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغْضَىٰ عَنْ بَعْضِ الْأَجْنَاسِ ، فَلَا يُحْسِنُ أَنْ  
يُغْضَىٰ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ .

وَلَا أُرُومُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنزِلَةً غَيْرِي أَحَقُّ بِهَا مِنِّي إِذَا رَامَا  
وَإِنَّمَا أَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْمَهَانَةِ وَالضَّعْفَةِ ، وَلَا أُعْرِضُهَا لِلضِّيْقِ وَفِي الدُّنْيَا سَمْعَةٌ .  
وَأَكْرِمُ نَفْسِي إِنِّي إِنْ أَهْنَيْتُهَا وَحَقَّقْتُ لَمْ تَكْرُمٌ عَلَيَّ أَحَدٍ بَعْدِي  
فَلَا يُصَعَّرُ (١) السَّيِّدُ مِنْ خَدِّهِ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِنْ بُعْدِهِ ،  
وَلَا يُغْضَىٰ (٢) مِنْ عَيْنِهِ ، فَهَذَا فِرَاقُ يَدِّي وَبَيْنَهُ ، وَلِيَتَّخِذَنِي صَاحِبًا مِنْ بَعِيدٍ ،  
وَلَا يُكَلِّمَنِي إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ (٣) .

كَلَانَا غَنَىٰ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَفَانِيَا  
وَمِنِّي عَلَى السَّيِّدِ السَّلَامُ ، عَلَى الدَّوَامِ ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبَسَ جَدِيدًا ، وَكُلُّ  
حَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيدًا ، وَمَرَحَىٰ (٤) إِذَا أَصَابَ ، وَشِيَعَتُهُ السَّلَامَةُ  
إِذَا غَابَ ، وَقُدُومًا مُبَارَكًا إِذَا آبَ ، وَبِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ (٥) إِذَا أَعْرَسَ (٦)  
وَبِالطَّلِيحِ الْمَسْعُودِ إِذَا أَنْجَبَ (٧) ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا عَطَسَ ، وَنَوْمَ الْعَافِيَةِ إِذَا  
نَعَسَ ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا أُسْتَيْقِظَ ، وَهَنِينًا إِذَا شَرِبَ ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ

(١) صعر الرجل خده : أماله كبرا وتبها .

(٢) يغض عينه : يغمضها .

(٣) يوم الوعيد : يوم القيامة .

(٤) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء : كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية .

(٥) بالرفاء والبنين : دعوة لمن يتزوج بالانثام واستيلاء الأولاد .

(٦) أعرس : تزوج .

(٧) أنجب : ولده ولده .

إِذَا رَكِبَ ، وَنَعِمَ صَبَاحُهُ إِذَا انْفَجَرَ الْفَجْرَ ، وَسَعِدَ مَسَاوُهُ إِذَا أَذِنَ الْعَصْرَ ،  
وَبَخَّ بَخَّ (١) إِذَا نَثَرَ (٢) وَلَا فُضَّ فُوهُ (٣) إِذَا شَعَرَ (٤) ، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذَا خَطَبَ ،  
وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَبَ ، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ فَحَجًّا مَبْرُورًا ، وَإِذَا شَيَّعَ  
جَنَازَتِي فَسَعِيًّا مَشْكُورًا .

وكتب إلى الشيخ على الليثي رحمه الله يشكره على هدية عنب :

وَصَلِّ يَا مَوْلَايَ إِلَى هَذَا الطَّرْفِ ، مَا خَصَّصْتَ بِهِ الْعَبْدَ مِنَ الطَّرْفِ (٥)  
« قَفَّصْتُ » مِنْ عَنبٍ كَاللُّوْلُؤِ فِي الصَّدْفِ ، تَتَأَلَّقُ عَنَاقِيدُهُ كَأَنَّهَا مِنْ صِنَاعَةِ  
« النَّجْفِ » (٦) وَلَعَمْرُ الْخَقِّ (٧) إِنَّهَا تُحْفَةُ مَنْ أَحَلَّى التُّحْفَ ، لَا يُعْتَرِ عَلَى  
مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيقِ « الصَّدْفِ » فَقَابِلِنَاهُ أَيْمًا بِالْأَفْوَاهِ ، وَرَشَفًا بِالشَّفَاهِ .  
وَأَحْتَفَيْنَا (٨) بِقُدُومِهِ كُفْلَ الْاِحْتِفَاءِ ، وَلَمْ نَفْرُطْ فِي حَبَّةٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ ؛  
بَلْ حَلَلْنَا لَهُ الْحَبِي (٩) ، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ، وَأَوْسَعْنَاهُ عَضًّا  
وَأَيْمًا ، وَتَنَاوَلْنَاهُ تَجْمِيمِشًا (١٠) وَضَمًّا ؛ وَحَفِظْنَا فِي صُدُورِنَا سِرَّهُ الْمَكْنُونِ ،  
وَطَوَّيْنَاهُ فِي غُضُوفِ الْبُطُونِ ، فَطَرَبْتِ مِنْ تَعَاطِيهِ الْأَرْوَاحِ ،

(١) بخ : كلة تقال عند استحسان الشيء والإعجاب به .

(٢) نثر : أرسل القول منشورًا .

(٣) لافض فوه : لاخل من أسنانه . دعوة توجه لمن يجيد القول .

(٤) شعر : قال الشعر .

(٥) يريد بالطرف : التحف .

(٦) النجف : كلمة مولدة .

(٧) لعمر الحق : قسم بالحق .

(٨) احتنى به احتفاء : أكرمه وأظهر السرور به .

(٩) يقال فلان ممن تحل له الحبي ، أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبي : جمع حبة وهى ما يجمع به

مابين الظهر والساق من حبل ونحوه .

(١٠) جمشه تجميشاً : قرصه ولعبه

وَلَا غَرُورٌ<sup>(١)</sup> فَهُوَ أَصْلُ الرَّاحِ<sup>(٢)</sup> . وَأَنْتَشِينَا<sup>(٣)</sup> وَلَمْ نَحْمِلْ وَزْرًا ، وَمَعْلِنَا<sup>(٤)</sup>  
وَلَمْ نَذُقْ طَعْمًا مَرًّا . فَهُوَ كَبِيَانٌ مُهْدِيهِ سِحْرُهُ وَلَكِنَّهُ حَلَالٌ ، وَلَعِبٌ  
إِلَّا أَنَّهُ كَمَالٌ .

\*\*\*

وَكَانَ الْأُخْرَىٰ بِهَذَا الْعِنَبِ أَنْ يُنَاطَ<sup>(٥)</sup> بِالنُّجُورِ ، أَوْ تُزَيَّنَ بِهِ الصُّدُورُ ؛  
فَإِنَّهُوَ إِلَّا الْأَوَّلُ وَلَكِنَّهُ سَلِمَ مِنْ سِجْنِ الْبِحَارِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الدَّرُّ لَكِنْ  
لَيْسَ فِيهِ صُغَارٌ<sup>(٦)</sup> .

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِيُّ لِي لَا يَلْقُطُ الدَّرَّ إِلَّا كُبَارًا<sup>(٧)</sup>  
وَمَا ضَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ الْقَفْصَ ، ( حِصَّةٌ مِنَ الْحِصَصِ<sup>(٨)</sup> ) فَإِنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ  
يُودَعُ فِي الْأَقْفَاصِ ، وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَنَائِيَا الضُّلُوعِ خَلَاصٌ . فَلَا بَدَعَ  
أَنْ تُسْتَقَلَّ فِي حَبَاتِهِ حَبَاتُ الْقُلُوبِ ، وَيُسْتَمْلَحُ فِي جَنْبِ حَلَاوَتِهِ رُضَابٌ<sup>(٩)</sup>  
الْمَحْبُوبِ . وَكَأَنَّ الْأَرِيَّيَا لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَهُ ، فَغَرَّ الْهَيْلَالُ فَاهُ<sup>(١٠)</sup> لِعَمَقُودِهَا  
يُرِيدُ أَكْلَهُ ، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِي السَّمَاءِ ، وَيَأْخُذُ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ مِنَ الْوَرَاءِ .  
وَهِيَ تَجْرِي مِنَ الْأَمَامِ ، مَخَافَةَ الْإِتِهَامِ . هَذَا لِمُجَرَّدِ تَشَابِهِ فِي الشَّكْلِ

(١) لا غرور : لا عجب .  
(٢) الراح : من أسماء الحجر .  
(٣) انتشى : سكر .  
(٤) حمل : سكر .  
(٥) يناط : يعلق .  
(٦) صغار : يضم الكاف : الكبير .  
(٧) الحصة في الأصل : النصيب واستعملها المحدثون في معنى الفترة من الزمن يريد وقتنا من الأوقات  
(٨) الرضاب يضم الراء : الريق .  
(٩) ففرماه : فتحه .  
(١٠) ففرماه : فتحه .

فَكَيْفَ بِالثَّرِيَّا ، لَوْ أَشْبَهْتَهُ حِلَاوَةَ وَرِيًّا<sup>(١)</sup> ! فَلِلَّهِ تِلْكَ الْعَنَايِدُ مَا أَشَدَّ  
تَأَلَّفَهَا<sup>(٢)</sup> ، وَأَصْنَفِي مَاءَهَا ، وَأَحْسَنَ رَوْنَقَهَا . مِنْ كُلِّ عُنُقُودٍ تَحَالُهُ عُمُودَ الصُّبْحِ<sup>(٣)</sup>  
أَحَاطَتْ بِهِ الدَّرَارِيُّ ، أَوْ غَضْنَ الْبَانَ<sup>(٤)</sup> تَمَلَّقَتْ بِهِ الْقَمَارِيُّ<sup>(٥)</sup> .

وكتب بعزى كبيراً ( لعله الشيخ على يوسف رحمه الله في ولده ) :

خَفَّفَ اللَّهُ لَوْعَتَكَ<sup>(٦)</sup> ، وَأَرْقَأَ<sup>(٧)</sup> دَمْعَتَكَ ، وَجَنَّبَكَ الْجُزْعَ<sup>(٨)</sup> ، وَوَقَاكَ  
الْهَلْعَ<sup>(٩)</sup> . وَاللَّهِمَّكَ الصَّبْرَ ، وَأَجْزَلَ لَكَ الْأَجْرَ وَرَزَقَكَ مِنَ الْبَنِينَ ، فِي مُسْتَقْبَلِ  
السِّنِينَ ، مَا تَقَرُّ<sup>(١٠)</sup> بِهِ عَيْنَاكَ ، وَيَقْوَى بِهِ عَنَاكَ<sup>(١١)</sup> ، وَأَنْتَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
فِي قُوَّةٍ وَبَقِيَّةٍ مِنَ الْفِتْوَةِ<sup>(١٢)</sup> تُمْكِّنُكَ مِنَ الْأَبْوَةِ ، لِخَيْرِ الْبُنُوَّةِ . عَلَى أَنَّ لَكَ  
فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ ، وَضُرُوبِ الْكِيَاسَةِ<sup>(١٣)</sup> ، فِي هَذِهِ الْبِلَادِ ، أَلْوَانًا مِنَ الْأَوْلَادِ ،  
وَأَثَارًا كُبْرَى ، تَضْمَنُ لَكَ الذِّرَى ، وَتَجْمَعُ لَكَ عَلَى مَدَى السِّنِينَ لِسَانَ  
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

( ١ ) الرى بالكسر : الضبع من الماء .

( ٢ ) تألقها : بريقها .

( ٣ ) عمود الصبح : ضوءه .

( ٤ ) البان : شجر يضرب المثل بأغصانه في اعتدال القوام .

( ٥ ) القمارى بفتح القاف وكسر الراء : جمع قرى بضم القاف ، وهو نوع من الحمام حسن الصوت

( ٦ ) اللوعة : حرقه الحزن .

( ٧ ) أرقأ دمعته : جففها

( ٨ ) الجزع : أشد الحزن .

( ٩ ) الهلع : الجزع من المصيبة .

( ١٠ ) قرت العين : بردت من السرور .

( ١١ ) العنا : الجانب .

( ١٢ ) الفتوة : قوة الشباب .

( ١٣ ) السكياسة : الفطنة وصحة الرأى .

## ١٨ - السيد مصطفى لطفى المنفلوطى<sup>(١)</sup>

### نفس الشاعر

« قطعة من رواية الشاعر ، يخاطب فيها سيرانو  
لبريه الذى ينصحه بحسن السياسة والمداراة »

أَتُرِيدُ أَنْ أَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِي عَلَى غَيْرِي ، وَأَنْ أَضَعَ زَمَامَ نَفْسِي فِي يَدِ  
عَظِيمٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ ، أَوْ نَبِيلٍ مِنَ الثُّبَلَاءِ ، يَصْطَنِعُنِي وَيَحْتَبِينِي<sup>(٢)</sup> وَيَكْفِينِي  
مَثْوَى عَيْشِي ، وَيَحْمِلُ عَنِّي هُمُومَ الْحَيَاةِ وَأَثْقَالَهَا ، فَيَكُونُ مَثَلِي مَثَلِ شَجَرَةٍ  
« اللَّبْلَابِ » لَا عَمَلَ لَهَا فِي حَيَاتِهَا سِوَى أَنْ تَلْتَفَّ بِأَحَدِ الْجُدُوعِ تَلْمَعُ<sup>(٣)</sup>  
فِشْرَتَهُ ، وَتَمْتَصُّ مَادَّةَ حَيَاتِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِهَا عَلَى نَفْسِهَا .  
ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ .

أَتُرِيدُ أَنْ أَجْمَلَ نَفْسِي عَلَى عَاتِقِي ، كَمَا يَحْمِلُ الدَّلَالُ سَلْمَتَهُ ، وَأَدُورُ بِهَا  
فِي الْأَسْوَاقِ مُنَادِيًا عَلَيْهَا : مَنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَثْرِيَاءُ<sup>(٤)</sup> ، وَالْوُزَرَاءُ  
وَالْعُظَمَاءُ ، وَأَصْحَابُ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ، يَتَتَاعُ نَفْسًا بِذِمَّتِهَا وَضَمِيرِهَا ، وَعَجَاطِفِهَا  
وَمَشَاعِرِهَا ، بِلِقْمَةِ عَيْشٍ ، وَجُرْعَةِ مَاءٍ ؟ .

(١) نشأ السيد المنفلوطى بمنفلوط وتعلم بالأزهر . واشتغل محرراً بالمويد . ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا  
زغلول فألحقه بالمعارف ثم الحقانية . وكان كاتباً رقيق القول محكم الفصح . يجيد تصوير الشعور الحزينة  
وله شعر قليل توفي سنة ١٣٤٣ هـ تاركاً آثاراً علمية جميلة

(٢) يجتبنى : يختارنى

(٣) لمق الشئ : أخذه بطرف لسانه

(٤) الأثرياء : جمع ثرى وهو من عنده مال كثير .

أَتُرِيدُ أَنْ تَسْتَحِيلَ قَامَتِي إِلَى قَوْسٍ مِنْ كَثْرَةِ الْأَنْحِنَاءِ وَأَنْ تَهْدَلَ  
أَجْفَانٍ مِنْ كَثْرَةِ الْإِطْبَاقِ وَالْإِغْضَاءِ ، وَأَنْ تَجْتَمِعَ فَوْقَ رُكْبَتِي طَبَقَةٌ  
مَمِيكَةٌ مِنْ كَثْرَةِ السُّجُودِ وَالْجُمُوعِ<sup>(١)</sup> بَيْنَ أَيْدِي الْعُظَمَاءِ ! .

أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِي لِسَانَانِ : لِسَانٌ كَاذِبٌ أَمْدَحُ بِهِ ذَلِكَ الَّذِي  
صَنَعَنِي وَاجْتَبَانِي ، وَلِسَانٌ أُعَدُّ بِهِ عُيُوبُهُ وَسَيِّئَاتِهِ . وَأَنْ يَكُونَ لِي وَجْهَانِ :  
وَجْهٌ رَاضٍ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ يَذُودُ عَنِّي وَيَحْمِينِي ، وَوَجْهٌ سَاخِطٌ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ  
يَسْتَعْبِدُنِي وَيَسْتَرْقِي ؟

ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ !

أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أَضْحَكَ كَمَا أَشَاءُ ، وَأَبْكِي كَمَا أُرِيدُ ،  
وَأَحْتَفِظُ بِنَظَرِي سَلِيمًا وَصَوْتِي رَنَانًا ، وَخَطَوَاتِي مُنْتَظِمَةً ، وَرَأْسِي مَرْفُوعًا  
وَقَوْلِي صَرِيحًا ، أَنْظِمُ الشُّعْرَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَخْتَارُهَا ، وَفِي الشَّانِ الَّذِي أُرِيدُهُ  
فَإِنْ أَعْجَبَنِي مَا وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا تَرَكَتُهُ غَيْرَ آسِفٍ عَلَيْهِ ، وَأَخَذْتُ  
فِي نَظْمِ غَيْرِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ أَتَوَسَّلَ إِلَى الطَّابِعِينَ أَنْ يَنْشُرُوهُ ، وَالْأَدْبَاءُ أَنْ  
يُقَرِّظُوهُ ، وَالْمُمَثِّلِينَ أَنْ يُمَثِّلُوهُ ، وَالْعُظَمَاءَ أَنْ يُنَوِّهُوا بِهِ وَيَرْفَعُوا مِنْ شَأْنِهِ !  
أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أَنْاضِلُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأُجَادِلُ مَنْ أَشَاءُ ،  
وَأَتَنَقَّدُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأَنْ أَقُولَ كَلِمَتِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِلْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ  
فِي وَجُوهِهِمْ ، لَا مُتَمَلِّقًا أَوْلِيكَ ، وَلَا خَاشِيًا هُوْلَاءَ .

(١) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه

(٢) أناضل : أدافع وأغالب

وكتب أيضاً :

### الشاعر

إِنَّمَا يَشْقَى فِي هَذَا الْعَالَمِ أَحَدٌ ثَلَاثَةً : حَاسِدٌ يَتَأَلَّمُ لِمَنْظَرِ النِّعَمِ  
الَّتِي يُسْبِغُهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَنِعَمُ اللَّهِ لَا تَنْفَدُ وَلَا تَفْنَى . وَطَمَّاعٌ  
لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى غَايَةٍ مِنْ الْغَايَاتِ حَتَّى تَنْبَعِثَ نَفْسُهُ وَرَاءَ غَايَةٍ غَيْرِهَا ؛  
فَلَا تَفْنَى مَطَامِعُهُ ، وَلَا تَنْتَهَى مَتَاعُهُ . وَمُقْتَرِفٌ جَرِيمَةٌ مِنْ جَرَائِمِ  
الْمَرَضِ وَالشَّرَفِ ، لَا يُفَارِقُهُ خَيَالُهَا حَيْثُمَا حَلَّ وَأَيْنَمَا سَارَ ، وَمَا أَنْتَ  
يَا سَيِّدِي بِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَمِنْ أَيِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ يَتَسَرَّبُ الشَّقَاءُ  
إِلَى قَلْبِكَ .

أَنْتَ شَاعِرٌ يَا مَوْلَايَ ، وَقَلْبُ الشَّاعِرِ مِرْآةٌ تَتَرَاءَى فِيهَا صُورُ  
الْكَائِنَاتِ ، صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا ، دَقِيقُهَا وَجَلِيلُهَا ؛ فَإِنْ أَعْوَزَتْكَ <sup>(١)</sup> السَّعَادَةُ  
فَفَتِّشْ عَنْهَا فِي أَعْمَاقِ قَلْبِكَ ؛ فَقَلْبُكَ الصُّورَةُ الصُّغْرَى لِلْعَالَمِ  
الْأَكْبَرِ وَمَافِيهِ .

السَّمَاءُ جَمِيلَةٌ ؛ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ سِرَّ جَمَالِهَا ؛  
وَيَخْتَرِقُ بِنَظَرَاتِهِ أَدِيمَهَا <sup>(٢)</sup> الْأَزْرَقَ الصَّافِي ؛ فَيَرَى فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ الْمُلَوِيِّ  
النَّائِي مَا لَا تَرَاهُ عَيْنٌ ، وَلَا يَمْتَدُّ إِلَيْهِ نَظَرٌ .

(١) أعوزتك : احتجت إليها .

(٢) الأديم : الجلد . وأديم الأرض والسماء : ما ظهر منها .

وَالْبَحْرُ عَظِيمٌ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَشْعُرُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ ، وَيَرَى فِي صَفْحَتِهِ الرَّجْرَاجَةَ<sup>(١)</sup> الْمُرْتَجِّحَةَ<sup>(٢)</sup> صُورَ الْأَمَمِ الَّتِي طَوَّأَهَا ، وَالْمُدُنَ الَّتِي مَحَّأَهَا ، وَالذُّوُلَ الَّتِي أَبَادَهَا وَهُوَ بَاقٍ عَلَى صُورَتِهِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ، وَلَا يَبْلَى<sup>(٣)</sup> عَلَى الْمُصُورِ وَالْأَيَّامِ .

وَاللَّيْلُ مُوَحِّشٌ<sup>(٤)</sup> وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ فِي سُكُونِهِ وَهُدُوءِهِ أَنْيْنَ الْبَاكِينَ ، وَزَفَرَاتٍ<sup>(٥)</sup> الْمُتَأَلِّمِينَ ، وَأَصْوَاتَ الدُّعَاءِ الْمُتَصَاعِدَةَ إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ ، وَيَرَى صُورَ الْأَحْلَامِ الطَّائِفَةَ بِمَضَاجِعِ النَّائِمِينَ ، وَخَيَالَاتِ السَّمَادَةِ أَوْ الشَّقَاءِ الْهَائِمَةِ<sup>(٦)</sup> فِي رُفُوسِ الْمَجْدُودِينَ<sup>(٧)</sup> وَالْمَحْدُودِينَ<sup>(٨)</sup> .

الشَّاعِرُ يَرَى الْجَمَالَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَنَاوَلُهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ ، حَتَّى فِي الزَّهْرَةِ الذَّابِلَةِ ، وَالنَّدِيَةِ الْخَائِلَةِ<sup>(٩)</sup> ، وَالنَّحْلَةِ الطَّائِرَةِ ، وَالْفَرَاشَةَ الْخَائِمَةَ<sup>(١٠)</sup> ، وَفِي مَدَارِجِ<sup>(١١)</sup> النَّمَالِ وَأَفَاحِيصِ<sup>(١٢)</sup> الْقَطَا<sup>(١٣)</sup> وَالنُّوَى<sup>(١٤)</sup> الْمَتَهَدِّمِ ، وَالْجَدَثِ الْبَالِي ، وَالشَّبَحِ الْمُخِيفِ ، وَالْخَيَالِ الرَّائِعِ ، وَفِي الضَّفْدَعَةِ الْمُتَلْقَاةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ،

( ١ ) الرجراجة : المتحركة النماوجة .

( ٣ ) بلى الشيء : تهباً للفناء .

( ٤ ) موحش : مظلم يبعث على الوحشة والانتباض

( ٥ ) زفر الرجل : أخرج نفسه مع مده إياه ؛ من ضيق وحزن .

( ٦ ) الهائمة : الطائفة .

( ٧ ) المجدودون : جمع مجدود ، وهو ذو الحظ الموفق .

( ٨ ) المحدودون : جمع محدود ؛ وهو ضد المجدود .

( ٩ ) الخائلة : المتغيرة .

( ١٠ ) الخائمة : أى التى لا تفتأ تدور حول النار والنور .

( ١١ ) المدارج : جمع مدرج . موضع الدروج . وهو المسمى .

( ١٢ ) الأفاحيص جمع أفحوص بضم الهمزة . وهو الموضع الذى تفحص القطاة التراب عنه لتبيض فيه .

( ١٣ ) القطا : جمع قطاة . وهى طائفة فى حجوم الحمام .

( ١٤ ) النوى : الحفرة التى تحفر حول الخيام ليذهب فيها السيل .

وَالذُّوْدَةَ الْمُمْتَدَّةَ فِي بَاطِنِ الصَّخْرِ ، فَهُوَ مِنْ خَيَالِهِ الْوَاسِعِ فِي نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ  
لَا تَنْفَدُ وَلَا تَبْلَى .

أَنْتَ كَالطَّائِرِ السَّجِينِ فِي قَفْصِهِ ، فَمَزَّقَ عَنْ نَفْسِكَ هَذَا السَّجْنَ الَّذِي  
يُحِيطُ بِكَ ، وَطَرَهُ بِجَنَاحَيْكَ فِي أَجْوَاءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُنْبَسِطِ الْفَسِيحِ ، وَتَنَقَّلَ  
مَا شِئْتَ فِي جَنَبَاتِهِ وَأَكْنَفِهِ (١) ، وَاهْتَفَ (٢) بِأَغَارِيدِكَ (٣) الْجَمِيلَةِ فَوْقَ قَعَمِ (٤)  
جِبَالِهِ ، وَرَعَّوَسَ أَشْجَارَهُ ، وَضَفَّافٍ (٥) أَنْهَارِهِ ، فَأَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِلسَّجْنِ وَالْقَيْدِ  
بَلْ لِلْهَتَّافِ وَالتَّغْرِيدِ .

١٩ - سعد زغلول باشا (١)

وَجَّهَ رَحْمَهُ اللَّهُ هَذَا النِّدَاءَ إِلَى الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ عَقِبَ عَوْدَتِهِ إِلَى مِصْرٍ

فِي صَدْرِ سَنَةِ ١٩٢١ م :

رَحَّبَتِ الْأُمَّةُ بِعَوْدَةِ نُوَابِهَا تَرْحِيبًا فَأَقَّ كُلَّ تَرْحِيْبٍ ، وَأَعْجَزَ وَصَفَ  
كُلَّ كَاتِبٍ وَخَطِيْبٍ ، فَقَدَّ أَتَى أَفْرَادَهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَّةٍ بِدَافِعٍ مِنْ ضَمَائِرِهِمُ  
النَّيِّرَةِ ، وَبَاعَثَ مِنْ شُعُورِهِمُ الْحَيِّ ، تَرْتَعِشُ أَعْصَابُهُمْ حَمَاسَةً ، وَتُخَفِّقُ قُلُوبَهُمْ  
بِالْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَةِ ، لِلْإِتِّفَافِ حَوْلَ مَنْ اتَّخَذُوهُمْ رَمَزَ أَمَانِيَّتِهِمْ وَعُنْوَانَ مَبَادِيئِهِمْ .

(١) أكنافه : نواحيه .

(٢) هتف : مد صوتك .

(٣) الأغاريد : جم أغرودة . وهي غناء الطائر .

(٤) القمم : جم قمة وهي أعلى الجبل .

(٥) ضفاف : جم ضفة . وصفة النهر : جانبه .

(٦) يعد سعد زغلول باشا زعيم الخطابة العربية في عصره — درس في الأزهر دراسة استقلالية

أعدته ليكون كاتباً نابغاً ومحامياً بارعاً وقانونياً قديراً كان زعيم النهضة السياسية حتى توفي سنة ١٩٢٧ م .

وَلَقَدْ رَأَيْتِ آيَاتِ الْحِكْمَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالنَّبَاتِ تَتَجَلَّى فِيهَا اسْتِقْبَالَنَا بِهِ مِنْ  
مَظَاهِرِ الْفَرَجِ الْبَاهِرِ — تِلْكَ الصِّفَاتُ الَّتِي تَضْمَنُ لِلشُّعُوبِ تَقَدُّمَهَا وَاللَّامِ  
سَعَادَتَهَا . وَشَعَرْتُ مِنْ قُبُلَاتِ التَّرْحِيبِ الَّتِي غَمَّرُونَا بِهَا بِحَرَارَةِ قَلْبٍ يَخْفِقُ  
فِي جِسْمِ شَعْبٍ عَظِيمٍ . وَقَدْ اشْتَرَكِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ فِي أَنْ يُمْلُوا عَلَى  
الْجَمُوعِ وَكُلِّ فَرْدٍ وَاجِبُهُ نَحْوُ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ ، وَأَجْمَعَ الْكُلِّ عَلَى مُطَابَقَتِنَا  
بِمَوَاصِلَةِ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَنَّهُ الْحَقُّ الْقَوِيمُ .

وَإِنَّ الشَّرْفَ وَالْكَرَامَةَ وَالْإِخْلَاصَ لَوْطَنِنَا الْمُقَدَّسِ لِمِمَّا يُوجِبُ  
عَلَيْنَا طَاعَةَ هَذَا الْأَمْرِ الْكَرِيمِ ، وَالنِّزَامَ هَذَا الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

إِنَّا نَشْكُرُ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا ، قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا ، عَلَى حُلَّةِ الثَّقَةِ<sup>(١)</sup> الَّتِي  
زَيَّنْتَنَا بِهَا ، وَنُقَسِّمُ بِالْوَطَنِ وَشِعَائِرِهِ<sup>(٢)</sup> الْمُقَدَّسَةِ — وَيُشَارِكُنَا فِي هَذَا  
الْقَسَمِ الْعَظِيمِ أَصْحَابُنَا الْمُخْلِصُونَ فِي جِهَادِهِمْ — أَنَّنَا لَا نَدْخِرُ شَيْئًا مِنْ وَسْعِنَا  
لِتَحْقِيقِ هَذِهِ النِّقَّةِ الْعَالِيَةِ ، وَلَا نَتَحَوَّلُ لِحُظَّةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ الْغَرَضِ الَّذِي  
وَضَعْنَاهُ نُصَبُ<sup>(٣)</sup> عُيُونَنَا حَتَّى نَصِلَ إِلَيْهِ .

إِنَّا لَمْ نَعُدْ إِلَّا لِنُقُوِّ بِعَزَائِمِ مُوَاطِنِينَا الْكَرَامِ عَزَائِمَنَا ، وَنَشُدُّ أَرْزَانَا  
بِاتِّحَادِهِمُ الْمَتِينِ ، وَنَتَمَتِّعُ بِمَرَامِهِمْ بَعْدَ طَوْلِ هَذِهِ الْغَيْبَةِ ، وَنَتَأَكِّدُ مِنْ أَنْ  
الِاشْتِرَاكَ فِي الْمَفَاوِضَاتِ الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي دَعَتْنَا الْوِزَارَةُ الْجَدِيدَةُ لَهُ مُتَّفِقٌ مَعَ  
الْمَبَادِي الَّتِي وَضَعَتْهَا الْأُمَّةُ ، وَعَاهَدْنَاهَا عَلَى احْتِرَامِهَا ، وَمَعَ الْخُطَّةِ الَّتِي رَسَمَتْهَا

(١) الحلة : الثوب . (٢) الشعائر : العلامات والعالم . (٣) نصب عيوننا : أمامها .

وَتَعَهَّدْنَا بِمُتَابَعَتِهَا ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيَّ قُلُوبِنَا مِنْ أَنْ نَخْدُمَ بِلَادِنَا بِالاتِّفَاقِ  
مَعَ كُلِّ هَيْئَةٍ مُسْتَعِدَّةٍ لِأَنْ تَسْتَرْشِدَ بِإِرَادَةِ الْأُمَّةِ ، وَعَامِلَةٍ عَلَى تَحْقِيقِ  
غَايَتِهَا السَّامِيَةِ .

لَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ يَعُودَ كُلُّ مِنَّا إِلَى عَمَلِهِ ، وَيُقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ : فَالْتَمِيزُ  
إِلَى مَدْرَسَتِهِ ، وَالْفَلَاحُ إِلَى مَزْرَعَتِهِ ، وَالصَّانِعُ إِلَى مَصْنَعِهِ ، وَالتَّاجِرُ إِلَى مَتَجَرِّهِ ،  
وَالكَاتِبُ إِلَى مَكْتَبِهِ ، وَالرَّأَةُ إِلَى إِدَارَةِ بَيْتِهَا ، وَعَلَى الكُلِّ مِنْ غَنِيِّ وَفَقِيرٍ  
أَنْ يُبَاشِرَ عَمَلَهُ ، مُرَاقِبًا أَعْمَالَنَا ، وَاضِعًا نُصَبَ عَيْنِيهِ الْمُقْصِدَ الْأَسْمَى ،  
وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ يُزِيدُ بِمَا يَعْمَلُ فِي كُنُوزِ الْوَطَنِ كَنْزًا ، وَيَضُمُّ إِلَى قُوَاهُ قُوَّةً .  
إِلَى الْعَمَلِ جَمِيعًا لِنَرْفَعَ مَنَارَ الْوَطَنِ وَنُعَلِيَ كَلِمَتَهُ ، وَنُتَجِّى مِصْرُ .

### ٢٠ - محمد بك المويلحي<sup>(١)</sup>

كتب من مصر إلى منيف باشا وزير المعارف في تركيا يعزیه في ابنته :  
إِلَى الْوَزِيرِ الَّذِي تَرْتَعِشُ بِنَظَرَةٍ مِنْهُ عُقْدُ السِّيَاسَةِ حَتَّى تَنْحَلَّ مِنْ شِدَّةِ  
الْارْتِجَافِ ، وَالْأَمِيرِ الَّذِي يَنْتَعِشُ بِهِ سُرُورًا دَسْتًا<sup>(٢)</sup> الرِّيَاسَةِ ، حَتَّى يَتِيَهُ عَلَى  
الْأَسْلَافِ ، وَالْفِيلَسُوفِ الَّذِي تَفَرَّعَتْ عَنْهُ أَصُولُ الْحُكْمِ ، وَالْهَمَامِ الَّذِي أَعْيَا

(١) هو ابن المرحوم إبراهيم بك المويلحي . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكبار أئمة العلم والأدب  
في عصره . وحذق التركية وطائفة من اللغات الأوربية . وعتاز قلمه بصفاة الديباجة ، ونصاعة اللفظ ،  
وتلاحم النسيج ، ومتانة السجع ، وقد أوتى من البراعة في فنون الوصف ما لا يتعلق فيه بفبارده وله  
( حديث عيسى بن هشام ) وكان قد نشر منجماً في جريدة « مصباح الشرق » التي كان يحررها مع أبيه  
توفي سنة ١٩٣٠ .

(٢) الدست : الكرسي .

النجوم أن تباريه في علو الهيم ، والرَّفِيعُ الَّذِي سَارَتْ عَنْهُ أَمْثَالُ الْمَجْدِ الْمُؤْتَلِّ (١) ،  
وَانْتَشَرَ عَلَى السَّمَارِ (٢) حَدِيثُ فَضْلِهِ الْمُرْتَلِّ :

إِلَى قَطْبِ (٣) الدُّنْيَا الَّذِي لَوْ بِفَضْلِهِ مَدَحْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَفَتَهُمْ فَضَائِلُهُ

مِنْ عِبْدٍ لِدَوْلَتِهِ ، لَهُ الشَّرْفُ الْأَسْنَى بِهَذِهِ النِّسْبَةِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَالْفَخْرُ الْأَعْلَى  
بِذَلِكَ وَأَفَانِيهِ التِّيهِ (٤) . دَهْمُهُ خَيْرُ الْمَصَابِ الَّذِي أَنْقَضَ (٥) ظَهْرَهُ ، وَأَرْضَى

دَهْرَهُ (٦) ، عَلَى أَنْ الْمَوْتَ - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الْمَجْدِ بِطَوْلِ بَقَائِكَ ، وَأَدَامَ رَوْنَقَ

الْفَضْلِ بِدَوَامِكَ - بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الطَّبِيعَةِ لَا مَفْرَجَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ وُلُوجِ فِيهِ ،

وَعَوْنٌ مِنْ أَعْوَانِ الْحَيَاةِ لَا بُدَّ لِلْحَيِّ مِنْ تَوَافِيهِ (٧) . وَاسْمُ الْحَيَاةِ لَا مَعْنَى لَهُ بِنَعْرِ

اسْمِ الْمَوْتِ ، وَفِعْلُ الْعَيْشِ مُتَضَمِّنٌ لِلْفِعْلِ الْفَوْتِ (٨) . وَلَقَدْ قِيلَ لِلْحَكِيمِ مِثْلَكَ :

مَا سَبَبُ مَوْتِ فُلَانٍ . قَالَ : كَوْنُهُ (٩) ، فَمَجِيبٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ مُكْلَهُ

وَحَزْنُهُ . وَإِنِّي أَتَيْقِنُ أَنَّ مَوْلَايَ الْوَزِيرَ مَا تَجَاسَّرَ أَنْ يَلْمَسَ أَذْيَالَهُ رَسُولَ الْحُزْنِ

وَالْأَسَى ، وَلَا عَارِضَ نَوْرَ حِكْمَتِهِ عَارِضٌ مِنْ ظُلْمَةِ ذَلِكَ الدُّجَى (١٠) ، وَمَا تَسَنَّى

( ١ ) المؤتئل : الأصيل الثابت .

( ٢ ) السمار : المتسامرون ، المتحدثون ليلا . وفي الليل يجتمع الناس عادة للتحدث .

( ٣ ) قطب الشيء . مداره وملاكه الذي يعمل به . وقطب القوم : سيدهم الذي يدور عليه أمرهم .

( ٤ ) التيه : الكبر والخيلاء .

( ٥ ) أنقض ظهره : أثقله .

( ٦ ) كل امرئ يحسب دهره عاملا على إيدائه يرضيه أن يتوالى عليه الضرر ، وينزل به المكروه .

( ٧ ) توافى إلى المكان : حضر إليه .

( ٨ ) الفوت : الهلاك .

( ٩ ) كونه : أي حياته .

( ١٠ ) الدجى : الظلمة .

لِطَفِيلِي الْفَزَعِ أَنْ يَتَلَمَّظَ<sup>(١)</sup> عَلَى مَائِدَةِ حِلْمِهِ بَعْدَ ارْتِقَاءِ هَضْبَاتِهِ<sup>(٢)</sup>؛ وَلَا طَمَعِ  
أَشْعَبِي<sup>(٣)</sup> الْجَزَعِ فِي اسْتِجْدَاءٍ مِنْ مَعْدِنِ وَقَارِهِ وَثَبَاتِهِ .

لَكِنَّمَا الْفَقِيدَةُ الَّتِي اخْتَارَتْ رُوحَهَا فِدَاءً لِبَنَاتِ مَعَالِيكَ وَمَجْدِكَ ،  
وَرَضِيَتْ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهَا زَكَاةً لِكُنُوزِ فَضَائِكَ وَسَعْدِكَ ، تَسْتَوْجِبُ  
مِنْ جِهَتَيْنِ لَا مِنْ جِهَةٍ ، أَنْوَاعَ الْأَسْفِ ، وَيَذْبَغِي لَهَا إِرْسَالُ الدَّمْعِ  
الْمُنْدَرِفِ<sup>(٤)</sup> ، وَاخْتِرَاقُ الْكَبِدِ عَلَيْهَا مِنْ طَرَفَيْنِ لَا مِنْ طَرَفٍ - الْأَوَّلُ :  
أَنْ الْوَرْدَةَ قَدْ اقْتَطِفْتَ قَبْلَ إِبَانِهَا<sup>(٥)</sup> ، وَانْتَرَعْتَ مِنْ أَفْنَانِهَا<sup>(٦)</sup> قَبْلَ أَوَانِهَا ،  
وَاقْتَنَصْتَ الطَّيْبَةَ مِنْ خَمَائِلِهَا ؛ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ مَخَائِلِهَا<sup>(٧)</sup> ؛ وَاخْتَطِفْتَ الْحَمَامَةَ  
مِنْ وَكْرِهَا قَبْلَ أَنْ يُطَوَّقَ جِيدُهَا وَيَنْتَظِمَ نَشِيدُهَا ، وَاقْتَصِفَ الْعُصْنَ  
قَبْلَ إِنْجَارِهِ ، وَانْمَحَقَ<sup>(٨)</sup> الْهَلَالَ قَبْلَ إِبْدَارِهِ . وَحِينَ الْبَدءِ فِي دَوْرٍ مِنْ أَدْوَارِهِ ،  
وَشُمَاعُ أَمَلٍ لَفَّ عَلَيْهِ السَّحَابُ رِدَاءَهُ ، وَسَاعَةُ سُرُورٍ نَبَذَهَا حَسَدُ الْأَيَّامِ  
وَاللَّيَالِي وَرَأَاهُ :

إِنَّ الْفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا لِأَجْلِ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلًا

(١) تلمظ الشيء : تذوق منه قليلا .

(٢) هضبات : جمع هضبة وهي المكان المرتفع .

(٣) أشعب : اسم رجل يضرب به المثل في الطمع .

(٤) المنذرف : السائل .

(٥) إبان الشيء : أول وقته . أي قبل اكتمال نضرتها .

(٦) جمع فنن وهو العصن المسقيم .

(٧) مخايلها : صفاتها وحماستها .

(٨) انمحق : اضمحل وانحوى .

والثاني : لأني لستُ من رأي من ينسب إلى النبي أنه قال : « نِعْمَ  
الْحَتْنُ الْقَبْرُ <sup>(١)</sup> » ، ولا من رأي العرب حين تَبَجَّحُ بِمُصَاهَرَةِ <sup>(٢)</sup> القبور ،  
وهضم حقّ الإِنات وتفضيل الذُّكور . ولا أراي من مذهب الشيخ  
المعري <sup>(٣)</sup> وَمَنْ قَبْلَهُ حيث يقول :

وَدَفَّنَ ، وَالْحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ لِإِحْدَاهُنَّ إِحْدَى الْمَسْكُورِمَاتِ <sup>(٤)</sup>

ولا من جانب الفرزدق ويروى عنه :

وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعًا  
وَلَا أَلْتَفْتُ لِنَاحِيَةِ الْبُحْتَرِيِّ وَيُنْشِدُهُ :

وَلَعَمْرِي مَا الْعَجَزُ عِنْدِي إِلَّا أَنْ تَبَيْتَ الرِّجَالَ تَبْكِي النِّسَاءَ <sup>(٥)</sup>

فَسَيَّانَ فِي حِكْمِ الطَّبِيعَةِ مُقْتَنَعٌ <sup>(٦)</sup> بِلَامَةِ الْحَدِيدِ <sup>(٧)</sup> فِي الْهِجَاءِ <sup>(٨)</sup> ، وَمُقْتَنَعَةٌ  
بِلَامَةِ <sup>(٩)</sup> الحرير من النساء . وَإِنَّمَا الْفَضْلُ بَيْنَهُمَا لِمَنْ جَاءَ بِالْعَاقِبَةِ الْحُسْنَى ،  
وَلِمَنْ قَلَّ ضَرَرُهُ وَآتَى بِالنَّفْعِ الْأَسْنَى <sup>(١٠)</sup> ، وَشَتَّانَ فِي حِكْمِ الْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ

( ١ ) الحتن : زوج الابنة

( ٢ ) كان العرب يكرهون البنات خشية العار ، وربما دفنوا البنات حية . وقد أبطال الإسلام ذلك .

( ٣ ) هو أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف .

( ٤ ) هذا البيت من قصيدة له كلها تهجين للمرأة وازدراء بها .

( ٥ ) من قصيدة له يمزى فيها عن بنت توفيت .

( ٦ ) تقنع الشيء لبسه .

( ٧ ) اللامة : الدرع ، وهو مايتقى به المحارب سلاح عدوه .

( ٨ ) الهيجاء : الحرب .

( ٩ ) أي لابسة ثوب حرير .

( ١٠ ) الأسنى : الأرفع .

قَائِدٍ لِلْجَيْشِ مُعَلِّمٌ <sup>(١)</sup> ، وَعَذْرَاءٌ تُطَرِّزُ فِي ثَوْبِهَا وَتُنَمِّمُ <sup>(٢)</sup> . ذَاكَ يُشِيرُ بِنَانِهِ  
لِتَيْتِيمِ الْأَطْفَالِ وَلتَخْرِيبِ الْبِلَادِ ، وَتِلْكَ يُشِيرُ بِنَانِهَا الْحَبَّاتِ الْقُلُوبَ بِعَقْدِ الْوَدَادِ .  
وَفَرَقٌ عَظِيمٌ بَيْنَ يَدٍ مُخَضَّبَةٍ بِالدَّمَاءِ ، وَأُخْرَى مُخَضَّبَةٌ بِالْحَنَاءِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَحْتَضِنُ  
الْأَطْفَالَ وَيُرِييُهَا وَبَيْنَ مَنْ يُسْتَتِبُهَا وَيُعَذِّبُهَا ، وَبَيْنَ كَفِّ لَاحِلِيَّةٍ لَهَا إِلَّا السِّيُوفُ  
الْبَوَاتِرُ ، وَأُخْرَى إِنَّمَا حَلِيَّتُهَا الْخَوَاتِمُ وَالْأَسَاوِرُ ، وَكَمْ جَلَبَتِ تِلْكَ مِنْ فِظَائِعِ  
مَشْهُورَةٍ ، وَكَمْ لَهْدِهِ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءٍ مَشْكُورَةٍ :

وَلَيْسَ الْخُمْسُ <sup>(٣)</sup> ضَارِبَةٌ بِسَيْفٍ      نَظِيرَ الْخُمْسِ ضَارِبَةٌ بِدَفٍّ  
أَبَاغَى حَظَّهُ بِقِنَا <sup>(٤)</sup> وَخَيْلٍ      كَبَاغِيهِ بِنُؤَالٍ وَحَفٍّ <sup>(٥)</sup>

ومولاي - أعزَّ اللهُ الفضلَ بوجُوده - يَعْلَمُ حِكَايَةَ إِحْدَى الْعَذَارَى  
مع عبد الله بن طاهر إذ رَدَّتْ بوقفةٍ منها أَمَامَ الْجَيْشِ غَرَبٌ <sup>(٦)</sup> الْجَيْشِ عَنْ  
قَصْدِهِ ، وَأَدْخَلَتْ سَيْفَ الْقَاهِرِ الْجَبَّارِ فِي غَمْدِهِ ، وَنَجَّتْ قَوْمَهَا مِنَ الْخُرَابِ ،  
وَأَتَقَدَّتْهُمْ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ ؛ حَتَّى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَصِيدَةً فِي ذَلِكَ ؛ مِنْهَا :  
نَحْنُ قَوْمٌ تُذَيِّبُنَا الْأَعْيُنُ النَّجْلُ <sup>(٧)</sup> عَلَى أَنَّنَا نُذَيِّبُ الْحُدَيْدَا  
طَوْعَ أَيْدِي الْغَرَامِ تَقْتَادُنَا الْغَيْدُ <sup>(٨)</sup> وَتَقْتَادُ بِالطَّعَامِ الْأَسْوَدَا

(٢) نَمِّمُ الشَّيْءَ : زَخْرَفَهُ وَزَيَّنَهُ .

(١) مَعَلِّمٌ عَلَيْهِ صُوفٌ مَلُونٌ فِي الْحَرْبِ .

(٤) الْقِنَا : الرِّمَاحُ .

(٣) يَرِيدُ الْأَصَابِعَ الْخُمْسَ .

(٥) النُّؤَالُ : الْحَشَبُ الَّذِي يَلْفُ عَلَيْهِ الثَّوْبُ وَكَانَ النَّسِيجُ مِنْ صَنِيْعِ النِّسَاءِ ، وَالْحَفُّ مِنْ حَفَّتِ الْمَرْأَةُ

وَجْهَهَا مِنَ الشَّعْرِ : أَزَالَتْهُ .

(٦) غَرَبُ الشَّيْءِ : حُدُّهُ ، وَالْمُرَادُ : رُدَّتْهُ عَنْ وَجْهِهِ .

(٧) النَّجْلُ : جَمْعُ نَجْلَاءَ ، وَهِيَ الْعَيْنُ الْوَاسِعَةُ الْحَسَنَةُ .

(٨) الْغَيْدُ : جَمْعُ غَيْدَاءَ ، وَهِيَ اللَّيْنَةُ الْأَعْطَافُ .

والأخرى التي لها ما يُماثل ذلك مع أحد ملوك الفرس وهو يُحارب قومه في بلاد يهودا أثناء الزمن الأول ، إلى غير ذلك من هذه الوقائع .

هذا ما قَوَّى وَقَعَ المصيبة فينا ، وأمدَّ<sup>(١)</sup> جيوشَ الهُموم عَلَيْنَا . أمَّا مَوْلَايَ الوزيرُ فما يُبْعِدُ الأَسْفَ منه ، وَيُزِيلُ الكَدْرَ عَنْهُ ، عِلْمُهُ بِضَوْءِ حِكْمَتِهِ ، وَنُورِ فَلَاسِفَتِهِ ، أَنَّهُ مَا فَقَدَ تِلْكَ الفَقِيدَةَ ، وَمَا صَارَتْ عَنْهُ بِعِيدَةَ ، فَهُوَ يَسْتَنْشِقُهَا فِي رَوَائِحِ الأَزْهَارِ ، وَيَرَاهَا فِي أَغْصَانِ الأشْجَارِ ، وَيَسْمَعُ صَوْتَهَا فِي صَوْتِ الأَطْيَارِ ، وَتَمُرُّ عَلَيْهِ فِي رِيحِ الصَّبَا<sup>(٢)</sup> مِنْ لِيَالِي الرِّبْعِ ، وَيُشَاهِدُهَا فِي كُلِّ شَكْلِ لَطِيفٍ أَوْ بَدِيعٍ .

أَلْهَمْنَا اللهُ عَلَيْهَا جَزِيلَ الصَّبْرِ ، وَأَلْبَسَ مَوْلَايَ الوَازِرَ ثَوْبَ الأَجْرِ ،  
إِنْ شَاءَ اللهُ .

وقال في وصف الصباح (من كتابه : حديث عيشي بن هشام) :

جَلَسْنَا تَتَجَاذِبُ أَطْرَافَ الحَدِيثِ ، مِنْ قَدِيمِ فِي الزَّمَانِ وَحَدِيثٍ ، إِلَى أَنْ صَارَتْ اللَّيْلَةُ فِي أُخْرِيَّاتِ الشَّبَابِ ، وَاسْتَهَانَتْ بِالْإِزَارِ وَالنَّقَابِ ، ثُمَّ دَبَّ المَشِيبُ فِي فَوْدِهَا<sup>(٣)</sup> ، وَبَانَ أَمْرُ الوَضَحِ<sup>(٤)</sup> فِي جِلْدِهَا ، فَعَبِثَتْ بِالعُقُودِ وَالْقَلَائِدِ ، مِنْ الجَوَاهِرِ وَالْفَرَائِدِ ، وَنَزَعَتْ مِنْ صَدْرِهَا كُلَّ مَنْشُورٍ وَمَنْظُومٍ

(١) جاء إليها بالمدد .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق .

(٣) الفود : الشعر الذي في جانب الرأس مما يلي الأذنين من الأمام .

(٤) وضع الجلد : ما يصيبه من البرص ونحوه . ويكنى الكاتب به عن ضوء الصبح .

مِنْ دُرِّ الْكَوَاكِبِ وَآلِي النُّجُومِ ، وَأَلْقَتْ بِالْفَرَاقِدَيْنِ (١) مِنْ أُذُنِهَا ،  
وَحَلَعَتْ خَوَاتِيمَ الثُّرَيَّا (٢) مِنْ يَدَيْهَا ، ثُمَّ إِنَّهَا مَزَقَتْ جِلْبَابَهَا ، وَهَتَكَتْ  
حِجَابَهَا ، وَبَرَزَتْ لِلنَّاظِرِينَ عَجُوزاً شَمَطَاءً (٣) ، تَرْتَعِدُ مُتَوَكِّئَةً عَلَى عَصَا  
الْجُوزَاءِ (٤) ، وَتُرَدِّدُ آخِرَ أَنْفَاسِ الْبَقَاءِ ، فَسَتَرَهَا الْفَجْرُ بِمِلَاءَتِهِ الزَّرْقَاءِ ،  
وَوَدَّرَجَهَا (٥) الصُّبْحُ فِي أَرْدِيتهِ الْبَيْضَاءِ ، ثُمَّ قَبَرَهَا فِي جَوْفِ الْفَضَاءِ ، وَقَامَتْ  
عَلَيْهَا بَنَاتُ هَدِيلٍ (٦) ، نَائِمَةً بِالتَّسْجِيعِ وَالتَّرْتِيلِ ، ثُمَّ انْقَلَبَ الْمَأْتِمُ فِي الْحَالِ  
عُرْسَ اجْتِلَاءٍ ، وَتَبَدَّلَ النَّحِيبُ بِالْغِنَاءِ ، لِإِشْرَاقِ عُرُوسِ النَّهَارِ ، وَإِسْفَارِ  
مَلِيكَةِ الْبَدُورِ وَالْأَقْتَارِ .

وقال في وصف الأهرام :

وَقَفْنَا هُنَاكَ مَوْقِفَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، قُبَالَةَ ذَلِكَ الْعَلَمِ (٧) الَّذِي يَطَاوِلُ  
الرُّوَابِي وَالْأَعْلَامِ ، وَالْهَضْبَةَ الَّتِي تَعْلُو الْهَضَابَ وَالْآكَامَ (٨) ، وَالْبِنْيَةَ (٩) الَّتِي  
تَشْرَفُ عَلَى رَضْوَى وَشَمَامِ (١٠) ، وَتُبْلِي بِبِقَائِهَا جَدَّةَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَتَطْوِي تَحْتَ  
ظِلَالِهَا أَقْوَامًا بَعْدَ أَقْوَامٍ ، وَتُقْنِي بِدَوَامِهَا أَعْمَارَ السِّنِينَ وَالْأَيَّامِ ، خَلَقَتْ  
ثِيَابُ الدَّهْرِ وَهِيَ فِي ثَوْبِهَا الْقَشِيبِ ، وَشَابَتْ الْقُرُونُ وَأَخْطَأَ قَرْنُهَا وَخَطُّ  
الْمَشِيبِ ، مَا بَرَحَتْ ثَابِتَةً تُنَاطِحُ مَوَاقِعَ النُّجُومِ ، وَتَسْخَرُ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبِ

- (١) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالي ، يهتدى بهما في الليل ، وقد شبههما بالقرط في أذن المرأة .  
(٢) مجموع كواكب .  
(٣) مسمى البياض في شعرها .  
(٤) الجوزاء : برج في السماء .  
(٥) درجها : طولها .  
(٦) بنات هديل : الحمام .  
(٧) قبالة : أمام وتجاه . والعلم : الجبل .  
(٨) الآكام : جمع أكمة ، وهي التل .  
(٩) البنية : البناء .  
(١٠) رضوى وشمام : جبلان .

وَالرُّجُومَ ، وَتَحَدَّثَ حَدِيثَ الْمَشَاهِدَةِ وَالْعِيَانِ ، مَا تَعَاقَبَ الْفَتْيَانُ <sup>(١)</sup> ، وَتَنَاوَبَ الْمَلَوَانَ عَنِ قُدْرَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ ، فِي بَدَائِعِ الصَّنْعِ وَالْإِتْقَانِ وَتُنْبِيْ عَنْ قُوَّةِ هَذَا الضَّعِيفِ الضَّئِيلِ ، فِي إِقَامَةِ مِثْلِ هَذَا الْأَثْرِ الْجَلِيلِ ، وَكَيْفَ لِهَذَا الْفَانِ الْبَائِدِ ، أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مِثْلُ هَذَا الْبَاقِي الْخَالِدِ - وَجَلَّ صُنْعُ الْقَدِيرِ الْخَالِقِ ، فِي تَصْوِيرِ هَذَا الْحَيَوَانَ النَّاطِقِ ، حَيْثُ جَعَلَهُ مَصْدَرًا لِلْأَعْمَالِ الْمُتَنَافِضَةِ ، وَالْأَفْعَالِ الْمُتَغَايِرَةِ الْمُتَعَارِضَةِ ، فَبَيْنَمَا تَرَاهُ يَصْعَدُ إِلَى أَجْرَامِ السَّمَاءِ وَعَوَالِمِهَا ، وَيَبْحَثُ بِفِكْرِهِ فِي رُسُومِهَا ، وَمَعَالِمِهَا ، وَيَسِيرُ بِعِلْمِهِ فِي أَنْحَاءِهَا وَمَنَازِلِهَا ، وَيَهْتَدِيْ لِحَسَابِ أَقْتَارِهَا وَكَوَاكِبِهَا ، إِذْ تَرَاهُ يَمْشِيْ عَثْرَةَ بَرَجِلِهِ ، فَيَكُونُ فِيهَا مُنْتَهَى أَجَلِهِ ، أَوْ يَكْبُو فِي طَرِيقِهِ ، فَيَنْصُصُ بِرِيقِهِ . ذَاكَ الَّذِي كَبُرَ وَصْفُهُ ، وَعَظُمَ وَحْقُهُ ، وَعَزَّ وَذَلَّ ، وَكَثُرَ وَقَلَّ ، وَصَعِدَ وَهَبَطَ ، وَعَلَا وَسَقَطَ ، وَصَلَحَ وَفَسَدَ ، وَعَرَفَ وَجَحَدَ ، وَسَعَدَ وَشَقِيَ ، وَفَنِيَ وَبَقِيَ ، وَسُبْحَانَ الْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ .

٢١ - مصطفى صادق الرافعي <sup>(٢)</sup>

قال يصف البلاغة النبوية :

هذه البلاغة الإنسانية التي سجّدت الأفكار لآياتها ، وحسرت <sup>(٣)</sup>

(١) الفتيان والملوان . الليل والنهار .

(٢) عني في مطلع حياته بالشعر ، فأخرج ديواناً في ثلاثة أجزاء ، ثم تجرد للنثر ، فأجاد فيه ، وترك النظم إلا في النادر وهو قوى التوليد المعاني ، بالغ التجويد للألفاظ ، واسع الاطلاع على الأدب العربي ، وقد كان شديد الغيرة على العروبة ، وكان يكثر من المجازات والتشبيهات ، ويتخير من الألفاظ الجزل والفضم . توفي سنة ١٩٣٧ م .

(٣) حسرت العقول : ارتدت ونخازات .

الْعُقُولُ دُونَ غَايَاتِهَا . لَمْ تُصْنَعْ ، وَهِيَ مِنَ الْإِحْكَامِ كَأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ ، وَلَمْ يُتَكَلَّفْ لَهَا ، وَهِيَ عَلَى الشَّهْوَةِ بِعِيدَةٍ مَمْنُوعَةٍ (١) .

أَلْفَاظُ النُّبُوَّةِ يَعْمرُهَا قَلْبٌ مُتَّصِلٌ بِجَلَالِ خَالِقِهِ ، وَيَصْقُلُهَا لِسَانٌ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ بِحَقَائِقِهِ ، فَهِيَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَحْيِ ، وَلَكِنَّمَا جَاءَتْ مِنْ سَبِيلِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْهُ دَلِيلٌ ، فَقَدْ كَانَتْ هِيَ مِنْ دَلِيلِهِ .

مُحْكَمَةُ الْفُضُولِ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عُرْوَةٌ مَفْضُولَةٌ ، مَحْدُوفَةٌ الْفُضُولِ .  
حَتَّى لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ مَفْضُولَةٌ .

وَكَأَنَّمَا هِيَ فِي اخْتِصَارِهَا وَإِفَادَتِهَا ، نَبْضُ قَلْبٍ يَتَكَلَّمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي سُمُوِّهَا وَإِجَادَتِهَا ، مَظْهَرٌ مِنْ خَوَاطِرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إِنْ خَرَجَتْ فِي الْمَتَوَعِّظَةِ ، قُلْتُ : أَنِينُ مِنْ فُؤَادِ مَقْرُوحٍ ، وَإِنْ رَاعَتْ بِالْحِكْمَةِ ، قُلْتُ : صُورَةٌ بَشَرِيَّةٌ مِنَ الرُّوحِ فِي مَنْزِعٍ (٢) يَلِينُ فَيَنْفِرُ بِالْدمُوعِ ، وَيَشْتَدُّ (٣) ، فَيَنْزُو (٤) بِالْدمَاءِ .

وَإِذَا أَرَاكَ الْقُرْآنُ أَنَّهُ خِطَابُ السَّمَاءِ لِلْأَرْضِ ، أَرَاكَ هَذَا أَنَّهُ كَلَامُ الْأَرْضِ بِمَدِّ السَّمَاءِ .

(١) أى تمتنع على من يحاول محاكاتها .

(٢) منزع - هنا - : أسلوب .

(٣) ينفر بها : يذمها

(٤) ينزو : يثب .